الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه

قدوة الصديقين

محمد تقي مدرسي


بسم الله الرحمن الرحيم

الامام المهدى عجل‌الله فرجه قدوة الصديقين

كاتب:

محمد تقى المدرسى

نشرت فى الطباعة:

دار محبى الحسين عليه‌السلام

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الامام المهدی عجل‌الله فرجه قدوة الصديقين

اشارة

سرشناسه : مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور : الامام المهدی عجل‌الله فرجه قدوه الصدیقین/ محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر : تهران: دار محبی الحسین(ع)، ۱۴۲۲ق. = ۲۰۰۱م. = ۱۳۸۰.

مشخصات ظاهری : ص ۱۴۴

شابک : ۹۶۴-۷۳۷۳-۱۰-۴۴۰۰۰ریال ؛ ۹۶۴-۷۳۷۳-۱۰-۴۴۰۰۰ریال

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی

یادداشت : فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا.

یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس

موضوع : محمدبن حسن(عج)، امام دوازدهم، ۲۵۵ق. - .

موضوع : مهدویت -- انتظار

رده بندی کنگره : BP۲۲۴/۴/م۴الف ۷۷۵

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۶۲

شماره کتابشناسی ملی : م۸۰-۳۴۱۱

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين.لأجل أن يرقى الإنسان إلى الأعالى فى سلالم التقوى والنجاح، وان يفوز بحياة طيبة.. لابد له من نموذج يتأسى به، وقدوة يقتدى بها.ونحن نعيش فى زمن يصعب على الإنسان اختيار النموذج والقدوة ليكون شاخصا له ومقياساً فى أفكاره وأعماله وطموحاته، حيث أن وسائل الإعلام فى عصرنا الحاضر أخذت تلمع لنا مئات الأسماء والشخصيات، فى شتى المجالات، مما جعلت البعض يحتار فى اختيار قدوته؛ بل قد يتيه بين الكم الهائل من الأسماء اللامعة فلا يهتدى إلى النموذج الذى يبغيه، فيعيش الضياع.فى ظل هذه الأجواء التى تحكمها الدعاية، وتسيرها وسائللاعلام.. ينساب البعض معها دون أى تفكير، مما يجعل قلبه يميل فى كل مرة مع شخص قد سلطت عليه الأضواء؛ سواء كان بطلاً رياضياً أو نجماً سينمائياً، أو وجهاً سياسياً..غير إننا لو دققنا النظر، نجد كل هؤلاء؛ إن كانوا حقاً قدوة.فإنما هم قدوة فى جانب واحد حسب اختصاصهم وما عرفوا به من إبداع؛ بغض النظر عن أهميته الحياتية، ومكانته الاجتماعية.. وهذا -بدوره- قد لا ينسجم مع واقع كل واحد واحد من الناس، لاختلاف توجهاتهم وأذواقهم..ولكن إذا ما بحثنا عن قدوة يروى ظمأ كل العطاشى، وينسجم مع الجميع.. لم نجد فى زماننا هذا غير شخص واحد، ألا وهو الإمام الحجة بن الحسن المهدى عليه السلام.ففيه يجد الإنسان بغيته، وعبره يحقق طموحاته، وبواسطته يدخل الجنة.من هنا يجدر بنا آن لا نحيد النظر عنه، بل لابد أن نقترب منه، وذلك عبر معرفته شخصياً، واستيعاب كلماته، والالتزام بمنهجه.ويخطأ كل من يولى وجهه إلى غيره، مهما كانت خصوصياته. فالإمام عليه السلام هو قدوة الصديقين، ومنار الصالحين؛ وهو -بكلمة- هدية الرب جل جلاله إلى الناس أجمعين، لينقذهم من الظلم والجور إلى شواطئ القسط والعدل بإذن الله تعالى.والحديث عن الإمام المهدى عليه السلام - بلا أى مبالغة- إنما هو يجذب القلوب، ويهيمن على النفوس.. لأنه

حدیث عن شخص کله فضائل، وکله قیم، وکله مکارم.. فإنه بلسم لکل جرح، وشفاء لکل داء، وانه حیاهٔ القلوب والأرواح.وبهدف القرب من الإمام علیه السلام ولو بخطوهٔ، والاهتداء بهداه، والتبصر بأحواله.. قمنا بجمع جملهٔ أحادیث ألقاها سماحهٔ آیهٔ الله السید محمد تقی المدرسی فی مناسبات عدیدهٔ حول شخص الإمام المنتظر وشخصیته، راجین من الله تعالی أن ینفع بها عباده الصالحین، ویزیدنا بذلک أجراً وثواباً إلی یوم الدین.القسم الثقافیمکتب آیهٔ الله السید محمد تقی المدرسیطهران ۲/ ذی القعدهٔ/۱۴۲۱هـ

الیوم الموعود فی الأفق

بقیهٔ الله خیر لکم

« بَقِیَّتُ اللَّهِ خَیْرٌ لَکُمْ إِن کُنتُم مُؤْمِنِینَ وَمَآ أَنَاْ عَلَیْکُمْ بِحَفِیظٍ» (هود/۸۶)یعیش المسلمون فی هذا العصر وفی هذا الظرف الحساس تحدیات خطیرهٔ، منها ما هی تحدیات مادیهٔ تحیط بأجسامهم وبلادهم، ومنها ما هی تحدیات وأخطار روحیهٔ ومعنویهٔ تحیط بقیمهم ورسالتهم..ولا یغیب عنا ان العدید من البلدان الإسلامیهٔ تعانی من خطر الإدمان علی المخدرات، هذه اللّعنهٔ التی أخذت وقضت علی کثیر من شبابنا، حتی أن بلداً إسلامیاً واحداً فقط یوجد فیه حوالی خمسهٔ ملایین مدمن..وتواجه العدید من بلدان المسلمین خطر الحروب حتی قیل مؤخّراً أن الغربیین قد جاءوا بالقنبلهٔ النوویهٔ إلی منطقهٔ الخلیج، وهم لم یأتوا بها للقضاء علی سلطهٔ صدام طبعاً، إذ هی صنیعتهم دون أدنی شک؛ فهی -إذن- موجّههٔ ضد الشعوب المسلمهٔ فی هذه المنطقهٔ، القنبلهٔ التی یزید تأثیرها علی مفعول قنبلهٔ هیروشیما خمسین مرهٔ، علماً أن هذه الأخیرهٔ قد قضت علی مائتی ألف إنسان یابانی فی مدهٔ لا تتجاوز ربع الثانیهٔ وحولتهم إلی رماد ودخان.ونحن نواجه أیضاً خطر الهجوم الثقافی الغربی الشرس علی قیمنا وعقولنا؛ فهذه الأقمار الصناعیهٔ بلغ عددها أکثر من خمسمائهٔ قمر صناعی متناثرهٔ فی الفضاء، تبث فی کل یوم عشرات الآلاف من الأفلام الرذیلهٔ. فهم أدخلوا العهر والفساد والمیوعهٔ إلی عقر دیارنا ومخادع نومنا، وأولادنا لم یعودوا أولادنا، بل هم أولاد الغربیین قبل کل شیء، لأنهم هم الذین یربّونهم، وهم الذین یستولون علی أرواحهم وعقولهم وإرادتهم.ونحن نواجه مخاطر الجفاف وشحّهٔ الأمطار والمحاصیل الزراعیهٔ، بسبب ضعف البنی التحتیهٔ لاقتصادیاتنا.فبماذا نواجه هذه المخاطر وغیرها؟ وإلی أی موقع نلجأ؟هل نلجأ إلی أمیرکا أم روسیا أم أوروبا؟ویجیبنا الله تبارک وتعالی عن کل ذلک بقوله الکریم: « بَقِیَّتُ اللَّهِ خَیْرٌ لَکُمْ»فحسب ما نستفیده من بعض النصوص القرآنیهٔ وروایات أهل البیت علیهم السلام أن الله عزّ وجل قد نصب الجبال فی الأرض لحفظ توازنها ومنعها عن المیلان، لأنها بمثابهٔ المرساهٔ التی تحافظ علی توازن السفینهٔ، ولکن من یحفظ سکان الأرض من الدمار والانهیار والضیاع؟إنه الإمام الغائب؛ الإمام المهدی المنتظر عجل الله فرجه، فهو الإمام لأهل الأرض، ولولاه لساخت الأرض بأهلها، ولتحول کل شیء إلی کثیب مهیل.ولکن لا یکفی فی أی حال من الأحوال الادعاء بالإیمان بهذا الإمام العظیم، بل لابد من التمسّک بحبله؛ تماماً کمن کان غریقاً تتلاقفه أمواج البحر العاتیهٔ، لا یکفیه النظر إلی خشبهٔ طافیهٔ فوق سطح الماء، وإنما یتوجّب علیه امتطاء تلک الخشبهٔ.والله جل وعلا قد أمرنا بالتمسک بالقرآن وبأهل البیت علیهم السلام، حیث قال: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِیعاً» وأهل البیت هم لا غیرهم سفن النجاهٔ، مَن رکبها نجا ومن تخلّف عنها غرق وهوی.فیا تری کیف نتمسک بحبل الله، وکیف نرکب سفینهٔ النجاهٔ؟ولتعلم – أخی المسلم – قبل کل شیء أن الإمام الحجهٔ المنتظر أقرب إلیک مما تظن، وهو عندک وأنت عنده.. ولکنک أنت الذی تحاول التهرب منه بسبب ما تقترفه من ذنوب وأخطاء..وقد روی عن سماعهٔ عن الإمام الصادق علیه السلام قال: سمعته یقول: مالکم تسوؤن رسول الله صلی الله علیه وآله؟ فقال له رجل: کیف نسوؤه؟ فقال: اما تعلمون ان أعمالکم تعرض علیه، فإذا رأی فیها معصیهٔ ساءه ذلک، فلا تسوؤا رسول الله صلی الله علیه وآله وسرّوه [۱] .إذن فالرسول والأئمهٔ یسوؤهم أن یروا فی قوائم أعمال محبیهم ذنوباً، کشرب الخمر وسماع الأغانی والغیبهٔ والتهمهٔ والنمیمهٔ والتفرقهٔ والعصبیهٔ والخمول والتهرب من الجهاد.إذن؛ فإن ارتکاب الذنوب إذا کان یحجب العبد العاصی عن ربه، فکذلک هو یحجب عن أولیاء الله

وأحبائه.إن اختراق الحجب الفاصلة بين المؤمنين وإمامهم يتيسّر عبر الالتزام بهذه النقاط التالية:۱- هجر الذنوب والتوبة إلى الله سبحانه وتعالى منها، وعدم القنوط من رحمة الله، وعدم الاستخفاف بمنزلة أولياء الله.۲- الإكثار من ضمانات الأمن، كبناء المساجد والحسينيات والمدارس العلمية، فهی كما الأعمدة فی البناء تحافظ عليه،وهی كالسور الذی يدافع ويحصن المدينة.۳- الاهتمام بتربية الأولاد تربية صحيحة، إذ فی ذلك ضمانة لاستمرار الدين فی الحياة. فالإنسان مسؤول فی الدنيا والآخرة عن تربية أولاده، قبل أن يكون مسؤولاً عن توفير لقمة العيش لهم، لا سيما إذا عرفنا أن الله سبحانه وتعالى يخلق الإنسان ويكتب رزقه له، وبالتالی فإن الوالدين يتوجّب عليهما قبل كل شیء تقريب أولادهما إلى تعاليم القرآن وتعاليم النبی وأئمة أهل البيت عليه وعليهم السلام، ليوفروا بذلك ضمانة عدم انحرافهم أو تقليل فرص الضلال التی يخلقها أعداؤهم لهم.إننا فی عصر الغيبة مدعوون إلى مزيد من التوجه إلى إمامنا الحجة بن الحسن عليهما السلام، حتى أن فی بعض الروايات تأكيد على مخاطبته بلقب بقية الله، ولعل السبب فی ذلك يعود إلى أن مائة وأربعة وعشرين ألف نبی قد أدّوا أدوارهم المقدسة ورفعهم الله مكاناً عليّاً، وأن أضعاف هذا العدد من الأوصياء قد انتهى دورهم، ولم يبقَ لنا من حبل بين السماء والأرض سوى هذا الإمام العظيم بعد كتاب الله المجيد؛ فلنتمسك به ونتوجه إليه، ونطلب منه أن يكون وسيلتنا وشفيعنا إلى الله سبحانه وتعالى..

البشرية بانتظار الأمل الواعد

«وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم ، يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُون» (آل عمران/۱۰۱-۱۰۲)مَثَلُ الرسالة الإسلامية الخاتمة مَثَلُ الثمرات التی أنعم الله بها على الإنسان؛ هذه الثمرات التی إذا اجتمعت صنعت إنساناً متكامل الجسد، صحيح البنية، سوياً مقتدراً.. ولكنها لو اختلفت ولم يحسن الاستفادة منها، لم تعطِ النفع المرجوّ، لاسيما وأن البدن فقير الى جميع ما تحويه تلكم الثمرات، حيث تساهم فی صناعة القوة والحيوية والفاعلية، وأن الحكمة الإلهية قد قدرت توزيع احتياجات الجسم الإنسانی على خواص الثمرات، حتى أن الإنسان إذا ما استفاد من ثمرة دون أخرى لأحس بالنقص وبالفقر الى ميزات ما لم يتناوله.أقول: إن مثل الدين مثل الثمرات، نظراً الى أن الدين عبارة عن وحدة متكاملة ينبغی الاستفادة منه بعمومه، دون تعمد أخذ نبذة منه وإلقاء الباقی، وإن المجتمع البشری لو انصاع إلى جميع بنود منهجه وتعليماته ووصاياه لسعد كل السعادة.أما إذا استفاد من جزئه، فإنه سيستفيد – فی واقع الأمر- من جزئه الذی به عمل.فصحيح أن المجتمع الذی يترك بعض الوصايا ويعمل بالبعض الآخر لن تتحقق له السعادة المطلقة، ولكنه فی الوقت ذاته سوف لن يشقى الشقاء المطلق.فلو فرضنا أن مجتمعاً ما قد التزم بفريضة الإحسان إلى الوالدين ولم يلتزم بالوصايا الدينية الأخرى، فإنه سيستفيد بمقدار ما التزم. ولو أن أمة عملت بالمبادئ الإسلامية فی مجال الاقتصاد، كتحريم الربا والغش والسرقة والكسل، فإنها ستكون أمة سعيدة من الناحية الاقتصادية، أوَلا ترى الشعوب الغربية كيف حققت لنفسها نمواً اقتصادياً مذهلاً حينما عملت بوصايا الإسلام فی هذا المجال، رغم أنها قد لا تعلم بالجهة المشرّعة التی تلتزم بتعاليمها، ورغم أنها لا تؤدی التعاليم الإسلامية الأخرى، كالصلاة والصيام والأمر بالمعروف والنهی عن المنكر...إن الحديث هذا ليس إلاّ تمهيداً لما أريد قوله فی مناسبة ولادة الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف.فالإيمان بوجود هذا الإمام العظيم والاهتمام الجدی بعقيدة انتظار ظهوره، يعتبران من أهم وصايا الأنبياء لأممهم على مرّ التأريخ، حيث لم يبعث الله نبياً إلاّ وبيّن له ان خاتمة هذه الدنيا ستكون الى خير وسعادة وأن العاقبة للمتقين، وأن الأرض سيورثها الله عباده الصالحين، حيث سيمكّن الله المستضعفين فی نهاية المطاف.ولقد آمن جميع الأنبياء والمرسلين والأئمة والصالحين بحقيقة ظهور الإمام الحجة المنتظر عليه السلام فی آخر الزمان، وبحقيقة ان الله سيملأ به الأرض عدلاً وسعادة بعد أن ملأها الظالمون وأتباعهم جوراً وبؤساً. كما ان الأنبياء وعلى رأسهم سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد بشروا بذلك الظهور الموعود طيلة حياتهم، كما كان الأئمة من أهل البيت عليهم السلام يبشرون به أيضاً.ولو أننا افترضنا التزام البشرية بهذه العقيدة -عقيدة انتظار ظهور الإمام المهدی

علیه السلام- بغضّ النظر عن إیمانها أو التزامها بسائر العقائد والوصایا الإلهیة الأخری، فإن لنا الجزم بأن هذه الأمة ستحقق الفائدة الکبری من اهتمامها بهذه الوصیة المقدسة.

البشریة بین الیأس و الأمل

تطالع البشریة أخبار الدمار العالمی والحروب الدولیة والمؤامرات السیاسیة وانتهاک الحقوق، وتفاجأ بأخبار مروّعة فی کل صباح ومساء، حیث أنها لتروّع لدی إخبارها بأن الکرة الأرضیة قد حزمت بحزام متفجّر اسمه الخطر النووی والکیمائی والجرثومی، وأنواع هائلة ورهیبة من الأسلحة الفتاکة.وتروّع أیضاً بأخبار اتساع الفجوة الحاصلة فی غلاف الأوزون، وأن درجة حرارة الأرض والمحیط الجوی سترتفع إلی حدٍ تطغی فیه البحار علی الیابسة، أو تتضاعف لدیه احتمالات وقوع الزلازل وانفجار البراکین، أو غیر ذلک من أنباء الرعب والهلع؛ بل إن من الدراسات الاستراتیجیة تؤکد بأن العالم – بما فیه العنصر البشری- سینتهی إلی وقت قریب، إذا ما استمرت وتیرة التدمیر هذه، حیث الاستفادة غیر المدروسة من النفط والغازات السامة واقتلاع الغابات التی خلقت لنفع الإنسان، الأمر الذی سیؤدی الی انقراضه من علی سطح الأرض.إن مثل هذه الأخبار التی تطالع البشریة فی کل صباح ومساء، تؤدی إلی انکماشها علی نفسها، وإلی یأسها من الحیاة والحرکة، حتی أنها – فی هذا الجو المفعم بالتطیّر والتشاؤم- ستتمنی الموت قبل أن یحلّ بها، باعتبار ان القلب البشری المجبول علی التقلب والتحول یعجز عن الصمود بوجه موجات الرعب المشار إلیها.ولکن البشریة نفسها إذا طالعها قول الله سبحانه وتعالی: [وَلَقَدْ کَتَبْنَا فِی الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّکْرِ أَنَّ الاَرْضَ یَرِثُهَا عِبَادِیَ الصَّالِحُونَ] (الانبیاء/۱۰۵) فحدثت نفسها وآمنت به علی اعتبار ان الله لن ینهی العالم إلاّ الی الخیر والسعادة والصلاح، وأن هذه السفینة التی تعصف بها الأعاصیر وتتقاذفها الأمواج العاتیة سوف تعود الی المرفأ الآمن، وأنه من المتوقع بین لحظة وأخری حدوث المعجزة الإلهیة الکبری، حتی ولو کان ذلک سیتحقق للأجیال القادمة فهی— البشریة- ستعیش حیاة الأمل وواقع النشاط والحیویة، والإصرار علی تحدی الیأس والخضوع دون شک.إذن؛ فالدعوة الإسلامیة ینبغی أن تتوجه الی جمیع الناس، بمن فیهم المسیحیون والیهود والکفار وعبدة الأوثان، وأن تصطبغ هذه الدعوة بصبغة التبشیر بحقیقة أن الله عز وجل لم یخلق الخلق من الناس لیعذبهم أو ینهی وجودهم علی الأرض وهم تعساء. ولم یرض عن الظلمة والمترفین الذین یعیثون فی الأرض الفساد. وذلک لأن الرب هو قائد العالم والمسیطر علی مقدّراته، فهو الرحمن الذی لا حدود لرحمته، وقد أبت هذه الرحمة والإرادة الإلهیة أن یکون مصیر الأرض بید الظالمین، مهما أفسدوا.لقد یتذکر العالم تطورات الحرب الباردة بین الغرب بقیادة الولایات المتحدة الأمیرکیة، وبین الشرق بقیادة الاتحاد السوفیاتی السابق، وکیف أن الأرض صارت آنذاک علی حافة حرب نوویة، وذلک فی أزمة خلیج الخنازیر المعروفة فی عهد الرئیسین المتجبرین خروشوف وکندی فی عقد الستینات، إذ هددت الولایات المتحدة بإعلان الحرب الذریة إذا ما لم یسحب الاتحاد السوفیاتی صواریخه النوویة من الأراضی الکوبیة؛ الأراضی التی تعتبرها الولایات المتحدة حدوداً استراتیجیة وأمنیةً لها. وهناک أزمات عالمیة أخری قد لم تتابعها البشریة بصورة دقیقة، أو إنها لم تعلم بها أبداً. فیا تری من منع وحال دون وقوع الکارثة الکبری، لاسیما وأننا والعالم أجمع یعرف أن من یصنع مثل هذه الأسلحة المدمرة لا یمکن بحال من الأحوال ان یمتلک العقل الکافی والإرادة اللازمة لضبط النفس لدی هذه الأزمة وذلک التحدی الکبیر، نظراً إلی أن الانفجارات النوویة لا تعرف، أو لا تمیز بین الطرف المهاجم أو الطرف المدافع، فالجمیع سینتهی فی حالة اندلاع الحرب النوویة.ولنضرب مثالین آخرین علی حقیقة ما نذهب إلیه، وهما حادثة الغواصة الروسیة الغارقة فی بحر النرویج، والتی ظلت عالقة فی قاع هذا البحر، حیث یجهل الجمیع سبب تعطلها وغرقها، بل ویجهل الجمیع مصیر الصواریخ النوویة التی تقلها. أما المثل الثانی فهو تعرض المدمرة الأمیرکیة للهجوم الانتحاری قرب میناء عدن، وهی مدمرة نوویة، کاد القارب الانتحاری أن یصطدم بها، وکادت أن تحل کارثة کبری ومأساة عالمیة لو أن القارب المذکور قد اصطدم بها، لولا أنه قد تفجر علی بعد ما لا یزید علی مسافة متر ونصف المتر منه.وما بال العالم لو قرر مجنون من المجانین المسؤولین عن الأسلحة الذریة فی هذه

الدولة الكبرى أو تلك، بالضغط على أحد أزرار الرعب بداعى تخليص البشرية من عذابها وقلقها؟!!

الرحمن على العرش استوى

ولكن القرآن الذى هو رسالة الخالق الى مخلوقه الإنسان يؤكد بطلان هذا الاحتمال وخطأ هذا الاعتقاد، وأن [الرَّحْمن عَلَى العَرْشِ اسْتَوى] (طه/۵) وان الله لن يترك البشرية تحترق، بل هو الحافظ لها ليوم موعود، وهو يوم خلاص البشرية والعالم أجمع من الظلم والطغيان.ولعل قراءة دقيقة فى الآيات القرآنية الخاصة بالحديث عن الأمم السالفة، تكشف أن طواغيت الأرض كفرعون ونمرود وقارون وهامان وسلالاتهم وأتباعهم لم يموتوا الموتة الطبيعية التى يقضى لها بها على كل إنسان، وإنما قد أزيحوا وأزيلوا من عروشهم، ذلك لأن الله الرحمن كان قد أمهلهم وقدّم لهم العذر ليكون ذلك امتحاناً لهم وللناس على حدٍ سواء. ولكن تلك المهلة وذلك العذر لم يكونا أبديين، بل كان لكل اجلٍ كتاب.أما الوحشية الصهيونية التى لا تستثنى صغيراً أو كبيراً إلاّ ووجهت له رصاص الظلم والإبادة، أو هذه الهمجية التى يمارسها صدام وأعوانه ضد المواطنين فى العراق، وغيرهما من نماذج الطغيان، لا يمكن تصور خلودها أبداً، ومَن تصور ذلك فإنه سيحكم على نفسه بالفناء قبل ان يلحقه ظلم الظالمين..

الامل الصادق

لقد بشرنا القرآن وأحاديث الرسول وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام، وبشرتنا ضرورات العقل بأنه سيأتى ذلك اليوم الذى سيظهر فيه الإمام المهدى عليه السلام حاملاً راية القرآن والرسول، وأنه سيستجيب لندائه العالم أجمع، وذلك بعد يأس الأمم والشعوب من تجاربها الفاشلة على مر التأريخ، وبعد أن وصلت إلى نقطة الصفر، فلا تجد فى الإمام الظاهر إلاّ الأمل الإلهى، وإلاّ المنقذ الأوحد الذى حفظ الله الأرض من أجله ومن أجل يومه الموعود ذاك.فجدير بنا نحن الذين نسعى الى نشر رسالة القرآن، ألا نتوقع تسليم الناس لهذه الرسالة عبر تعليمهم صلاة الليل مثلاً ثم نعدهم ونبين لهم فكرة ظهور المنقذ، بل العكس هو الصحيح. إذ لابد أن نبين للعالم بادئ بدء حقيقة البشرى القرآنية الخاصة بظهور مصداق العدل والخير والرفاه والسلام، وأن هذه البشرى تعتبر صميم المذهب الشيعى، وهى تمثل الذروة فى خط وسيرة أمير المؤمنين الإمام على وولديه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وسائر أئمة الخير والهدى عليهم صلوات الله وسلامه. وبهذا يكتشف العالم طريق الحق. ويلمس الناس بعقولهم وقلوبهم أحقية العقيدة الإسلامية التى تدفع بهم نحو الأمل والحياة.إن التبشير بهذا الأمل، يختلف اختلافاً جذرياً عن سائر أنواع التبشير الذى شهدته البشرية على مرّ التأريخ، فتلك الأنواع لم تكن سوى وعود كاذبة اختلقها هذا الإنسان أو ذاك لتحقيق مصالحه الشخصية، أو لتمرير ظلم الظالمين وبقائهم فى عروشهم التى يعلمون أنها خاوية وزائلة فى يوم من الأيام.ولكن هذه البشرى بظهور الإمام الحجة بن الحسن عليهما السلام لا تنفصل عن الواقع أبداً. فهى قد صدرت عن خالق البشرية والأنبياء والأئمة من جهة، وهى أيضاً ترجمة صادقة للحاجة الإنسانية والتاريخية من جهة أخرى.

قتل الخرّاصون

لقد ابتلى المؤمنون خاصة، والمسلمون عموماً بأنصاف المثقفين الذين يصبون كل جهودهم للتدخل فيما لا علم لهم به، وللتجاوز على قدّسية العلم والاختصاص، وذلك لزعزعة موقع الإيمان والإسلام فى القلوب، سواء علموا بتأثير ما يخرّصون أم لم يعلموا.فكم من صحيفة وكتاب وإذاعة وبوق إعلامى يحرض الناس على الشك بالعقيدة واليأس من التغيير والتغيّر، جاهلين بأن الشك واليأس والتشكيك والتأييس ليس إلاّ شكلاً رهيباً من أشكال الشرك والنفاق.وإذا راجعنا كتاب الله — وهو عين الحق - لوجدنا ان المستهزئين بالمؤمنين والعقيدة سوف يلقون أشد العذاب وأقسى التنكيل فى يوم القيامة؛ بل إن عذابهم سيكون أشد من عذاب

الكافرين، لأن الكافر قـد يكفر ولا يهمه من آمن، ولكن المسـتهزئ من طبيعته الكفر والكيد والأذى. ولقد ورد فى الأحاديث الشـريفهٔ أن جزاء المسـتهزئ بحقائق القرآن وعقائـد المؤمنين سـيكون جهنم خالداً فيها أبداً، حيث يلقى فيها من مكان سـحيق، ولكنه يرى فى الطرف الآخر الذى قد يبعد عنه مسيرهٔ ألف سنهٔ بصيصاً من نور الجنهٔ، فتراه يعمل المستحيل للوصول إليه، مارّاً بلهب النار العملاقهٔ وما تحويه من نـاس وأجنـهٔ ووحوش وعنت وعـذاب، حتى إذا وصل إليه إنطفأ دونه، وإذا بباب الجنـهٔ يغلق بوجهه، ولكنه يرى مرهٔ أخرى بصـيص نور وباباً آخر فيهرع إليهما لعلّه ينقذ نفسه أو يجد من العذاب مهرباً، فيلقى المصير نفسه، وهكذا يظل فى جهنم خالداً..أقـول: سمعنا وتسـمعون أكاذيب وافـتـراءات من يسـتهـزئ – وبأعصاب باردهٔ لها ما يبررها من مصالح ودوافع، كالجهل والطمع والكفر– من الحركات الإسـلاميهٔ والثقافـهٔ الدينيـهٔ والمقدسات، فلا يكون موقفنا منهم إلّا التوجيه لهم أو الابتعاد عنهم والاسـتعاذهٔ بالله القدير منهم فيما لو لم يثمر التوجيه أو ينفع النصـح، لأنهم ليسوا إلّا موجودات جهنّميـهٔ يحرقون كل من يقترب أو يركن إليهم. فالحذر كل الحذر منهم، ذلك أنهم آمنوا ثم كفروا وأنهم لن يضـروا المؤمنين الصادقين شـيئاً.إن الجـدير بالإنسان المؤمن البحث عن ثقافهٔ الأمل وإثارهٔ الطموح والجـد والاجتهاد، وهذا ما يجده فى القرآن وكلمات النبى وأهل بيته عليهم السـلام.فإن كان البحث فيما يخص وجود وظهور الإمام الحجهٔ عليه السـلام، فليعلم الإنسان المؤمن ان الله قد عاب فى كتابه على من يكفر بالعقيدهٔ الإسـلاميهٔ سـيرته هذه فقال: [وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُه]..؟ بمعنى أن الرسـول وإن مـات جسـداً، ولكنه حىٌّ يرزق بين أظهر المسـلمين، وذلـك عبر خليفته ووصـيه الـذى هو القرآن الناطق، وهو الأمان لأهل الأرض، وهو الأمل التاريخى للبشـريهٔ جمعاء، وهو الإمام الحجهٔ بن الحسن المهـدى عليه السـلام. ومن هنا ينبغى الاعتصام به والتسـليم إليه وتوطيـد العلاقـهٔ الإيجابيـهٔ، لأن فى ذلك فقط ضـمان طرد اليأس من القلب والسير فى طريق التقدم والازدهار.

الامام المهدى أمل الإنسانية الأكبر

ترى من لهذه القافلهٔ الإنسانيهٔ المنحدرهٔ باتجاه الهاويهٔ، ومن لهذه المجتمعات البشـريهٔ التى تهوى إلى الحضـيض؟إن جميع الآمال التى عُقـدت على مختلف العلاجات الجزئيـهٔ تبـدو اليوم واهيـهٔ وباطلـهٔ؛ فلقـد حاولوا أن يوقفوا انحدار الإنسان ببعض التعاليم، والإرشادات الأخلاقيـهٔ الفوقيـهٔ، ولكنّهم فشـلوا؛ وبـذلوا جهودهم من أجل إيقاف عمليّات الإبادهٔ الجماعيـهٔ التى سـببتها الحروب العالميّهٔ والإقليميهٔ المـدّمرهٔ بواسـطهٔ منظمات من مثل منظمـهٔ الأمم المتحـدهٔ، ومجلس الأمن الدولى، ومحكمهٔ العدل الدوليهٔ، ولكنّ جهودهم هذه باءت بالفشل الـذريع.ففى ظل عصـبهٔ الأمم نشـبت الحرب العالميـهٔ الثانيـهٔ، وفى ظل الأمم المتحـدهٔ انـدلعت حروب إقليميهٔ مدمّرهٔ، وفى ظل مجلس الأمن الـدولى احتلت قوّهٔ كبرى كالاتحـاد السوفيـاتى دولتين مسـتقلتين هما: المجر وتشيكوسـلوفاكيا، وهـدّدت دولـهٔ مسـتقلهٔ أخرى هى بولندا بالاحتلال، ثم احتلت بلداً ثالثاً هو أفغانستان!وفى ظل مجلس الأمن الدولى أيضاً اعتدت الولايات المتحدهٔ الاميريكيهٔ على كثير من الدول، وفى أكثر من موضع فى العالم!

اوضاع العالم تنذر بالدمار

وعلى هذا؛ فإن هذه الأنظمهٔ، وتلك القوانين لا تسـتطيع أن تمنحنا ضماناً بعدم الانحدار إلى الهاويهٔ، ففى كل دقيقهٔ واحدهٔ ينفق العالم أكثر من مليون دولار على أسلحهٔ التدمير، ومن أجل أن نبيّن المخاطر الهائلهٔ التى تحدق بالبشريهٔ يكفينا أن نقول أن نصيب كل إنسان على هـذه الأرض مـن أسـلحهٔ التـدمير وخصوصـاً مـادّهٔ الـ(تى. أن. تى) يبلـغ درجـهٔ بحيـث أنه يكفى لئن يقتله خمس عشـرهٔ مليـون مرّهٔ.وهناك أيضاً الأسـلحهٔ الكيمياويـهٔ التى يكفى مائـهٔ مليون طن منها لإبادهٔ من على سـطح الأرض، علماً أن بلـدان العالم المختلفهٔ – وخصوصـاً البلـدان الغربيـهٔ– تملك آلاف الملايين من الأطنان منها!وبنـاءً على ذلك؛ فإن المجتمعات البشـريهٔ تنحـدر بسـرعهٔ جنونيهٔ نحو هاويهٔ الانتحار الجماعى.والسؤال المصيرى المطروح فى هذا المجال هو: من ينقذ الإنسان من الإنسان؟

ضرورة الاعتقاد بالوحی

إن هـذا المنقذ هو إمامنا، وسيدنا، وقائدنا الإمام الحجة بن الحسن المنتظر عجل الله تعالی فرجه الشريف.ولكی لا يبقی ثمة شك فی التسليم لهذه الحقيقة، نقول: إن من الضروری أن يعتقد الإنسان بالوحی الذی يمثل أعظم عقيدة يمكن أن يصل إليها الإنسان، والذی يمثل أسمی قمة فی الكمال الإنسانی.والوحی يعنی الاعتقاد الراسخ بوجود العلاقة بين السماء والأرض، وأن ربّ السماوات والأرض رحيم رؤوف بعباده، وأنه وانطلاقاً من هـذه الرحمةيبعث إليهم الأنبياء والرسل ليهديهم، وينقذهم من الضلالة..إن الإنسان الذی يعتقد بـ(الوحی) الـذی هو تجلٍ من تجليات قدرة الله تعالی ورحمته بالإنسان، لابـد له أن يعتقـد بالإمام الحجة عليه السلام، لأن الذی ربط الأرض بالسماء بفضل الوحی تأبی رحمته، ويأبی فضله العميم علی الإنسان، ويأبی لطفه أن يترك البشرية دون رابط يربطها بالسماء بعد وفاة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلی الله عليه وآله.فالأرض ومنذ أن وُجد فيها الإنسان وحتی مبعث النبی الأعظم صلی الله عليه وآله لم تخلُ من حجّة إلهية، فكيف يترك الله جلّت أسماؤه، هذه الأرض من غير حجة، وهل كانت البشرية فی السابق أقرب إليه تعالی لكی يبعث لها مائة وأربعة وعشرين ألف نبی عدا الأوصياء وثم يتركنا بعد وفاة النبی محمد صلی الله عليه وآله دون أن تكون له حجة عليها؟

الايمان بامتداد الوحی

إنّ الإنسان الـذی يعتقد بالوحی لابد أن يؤمن أيضاً بامتداد هذا الوحی المتمثل فی الأئمة عليهم السلام، وانّ هذا الامتداد يتجسد، بل يرتفع، وينمو حتی يصل إلی قمته، وإلی ذروة امتداد الرسالة الإسلامية المتمثلة فی الإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالی فرجه.إن مثل هـذه الفلسفة يطول شرحها، وتبيانها، وأنا أريـد فی هذا الفصل أن اقتبس من هذا النور حزمة ضوء تنفعنا فی حياتنا، وتنير لنا الدروب المظلمة خصوصاً وأننا نمثل مجتمعات جريحة مستضعفة.

كيف نكرس الأمل فی نفوسنا؟

إننا بحاجة إلی أن نستوحی من فلسفة وجود الإمام الحجة عليه السلام فكرة مهمة لنری هل نجد فی اعتقادنا بالإمام المنتظر الأمنية، أو النقص الـذی نعانی منه.إن من طبيعة الإنسان أنه يميل إلی اليأس من الحياة، والطغاة يحاولون دوماً تكريس هـذه الصفة فی الإنسان، فهم يوحون لـه بشكل مستمر بـأنه موجود تافه لا قيمة له.وفی المقابل فإن أنبياء ورسل الله جل وعلا يحاولون دائماً أن يزرعوا الأمل فی قلب الإنسان، فيؤكـدوا لـه أنه مخلوق ذو كرامة، وأنه عظيم عند الله وأنه أكرم الكائنات، وأن الله قد خلقـه فی أحسن تقويم، وهذه المفردة هی من جملة البنود الرئيسية فی رسالات الأنبياء عليهم السلام، فی حين أن تكريس اليأس والقنوط هو من جملة المخططات الرئيسية فی سياسات الطغاة.تری كيف نستطيع أن نحمل الأمل، وان لا يحيط بنا اليأس، خصوصاً وأن الظروف المحيطة بنا تدعونا كلها إلی السقوط فی مستنقع اليأس، والشعور القاتل بالقنوط والإحباط؟للجواب علی هذا التساؤل نقول: إن الإنسان المسلم المعتقد بالوحی يـدرك أن وراء هذه الظواهر المادية، والعوامل المؤثرة فی الظروف غيباً يجعل الأمور لا تجری كلها حسب الظواهر.صحيح أن الطغاة يتحكمون بالمستضعفين، ويسومونهم سوء العذاب، ولكن هـل من المعقول أن يـترك الإمـام الحجـة هـذه البشـرية المعذّبـة دون أن يتـدخل فی الأمور لصالـح هؤلاء المستضعفين؟ فـأين رحمـة الله –إذن– وأين فضـله؟إننـا مطمئنون لرحمته تعالی، وواثقون من لطفه وفضـله، ولـذلك فإن اليأس لا يمكن أن يـداخل قلوبنا، ولا يمكن أن يستبدّ بنا. فنحن نرجو، وعنـدما نرجو نتحرك، وعندما نتحرك نصل إلی بغيتنا، لأن الله عز وجل يقول: [وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَی ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَی].

حاجتنا إلی الأمل

وهکـذا فإننـا الآـن بحاجـة إلى الأمـل، وهـذا الأمـل ینبعث من إیماننا بالإمام المنتظر عجل الله فرجه، وأن ما یجری حولنا من أحـداث لیست بعیـدة عن علم الإمام وإشـرافه، بالإضافـة إلی أن هناک لیلة القدر، حیث یتنزّل الروح من السـماء مع الملائکة الآخرین لیعرضوا علی إمام عصـرنا صحیفة أعمال کل واحد منا. وإلی هذا المعنی یشیر قولـه تعالی: [وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَیَرَی اللّهُ عَمَلَکُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُون] وهـذا ما یهدینا إلی ان الإمام المهدی علیه السـلام ناظر علی أعمالنا، سواء کانت حسـنة أو سـیئة، ولا ریب انه علیه السـلام یسـر بعمل الحسـنات، وینزعـج من عمـل السـیئات.ولیس من بـاب الصدفـة أن تهبـط علینا النفحات الإلهیـة، ویشـملنا الله تعالی بألطافه بین الحین والآخر، فهناک مکونات نفسیة وعقائد امتزجت بدماء المسلمین، ومن ضمن هذه العقائد الإیمان بضرورة وحتمیة ظهور الإمام المهدی المنتظر عجـل الله فرجه، وأنـا شخصـیاً یغمرنی الاعتقاد الراسـخ والإیمان العمیق بأن عُقـد مکارهنا سـتحل من خلال هـذه المعتقـدات، ذلک لأن العقد النفسیة للإنسان وما یعانی منه من حالات سلبیة یقف فی مقدمتها الیأس والقنوط ستحل، لأنه سیتفجر أملًا ووعیاً. ومن یتحلی بهذه الصفات سیصل لا محالة إلی غایاته بإذن الله.

الیوم الموعود؛ أمل البشریة و وقود مسیرتها

تعج مسـیرة البشـریة بمنعطفات کثیرة وخطیرة حتی تکاد النفوس تتلبد بسـحب الیأس وغیوم التشاؤم، هذا التشاؤم وذلک الیأس اللذان بـدءا یهیمنان علیها؛ فبات الکمد یقتلها، والضـغینة والبغضاء یحیطان بها من کل جانب.کما إن الإنسانیة قد عمیت عن حقیقة وجودها، وسـرّ قـدومها إلی الحیاة الـدنیا واسـتقرارها علی هـذه الأرض. فالهـدف الحقیقی والغایـة النهائیة لیست الأعمار أو البحث عن أسـباب السـعادة والراحـة فحسب، بل لابـد أن تجتاز هـذه الأهداف الثانویة المحدودة إلی الهدف الأسـمی والأعلی،إلی تلک المحطة الأبدیة الرحیبة، حیث رضوان الله تبارک وتعالی، وحیث فسیح جناته ونعیمه الأبدی.

منعطفات خطیرة

وقـد جعلت المنعطفـات الخطیرة، البشـریة فی أوضـاع مظلمـة ورهیبـة، فمن خلاـل قراءة سـریعة لتأریخهـا الملیء بالمآسـی والعـذاب والویلات، نلمـح أکثر من طاغیـة وأکثر من مسـتبد وجلاد دموی. وهذه الویلات لم تقتصـر علی نیرون واحد، ولا هولاکو، أو هتلر أو موسولینی واحـد، بل إن تأریـخ البشـریة شـهد حروباً، وصـراعات جمّـة کانت فی حد ذاتها تجسّد المأسات والآلام والدمار التی نزلت علی البشـریة طیلة تأریخها الطویل، فیما کانت أعداد الضحایا فی تصاعد وارتفاع حتی بلغت عشرات الملایین بسبب ما ارتکبه أولئک الطغاة من جرائم فظیعـة وممارسات رهیبـة.وأما الوجود الحضاری فقـد بات طیلـة العصور طعمـة الدمار الذی کان یصبّه طغاة التاریخ، وفی هـذا المجـال یحـدثنا بعض مؤرخی التاریـخ الیونانی القـدیم أنّ الإمبراطور الطاغیـة (نیرون) کان هو وزوجته یجلسان علی شـرفة قصـرهما، ویتفرّجـان علی مدینـة روما کیف تحترق وتلتهمها النیران، فیما کانا یضـحکان ویقهقهان بصوت عال، ساخرین ومسـتهزئین بالأرواح التی کانت تُزهق فی تلک اللحظات الرهیبـة.إن التاریـخ یحـدثنا فی صـفحاته السوداء الملطخـة بالـدماء عن مـدن وحضارات کـانت عـامرة زاهرة فی اللیل، فما أصـبح علیها الصـبح حتی تحولت إلی رکام وأنقاض یتصاعـد منهما الـدخان وألسـنة اللهب؛ ومثال ذلک ما نتـج عن الحرب العالمیـة الثانیـة حین قدرت الإحصاءات ضـحایا هذه الحرب القذرة المدمّرة بستین ملیون إنسان، ناهیک عن الأعـداد الهائلـة من المشـردین والمعـوّقین والخسـائر والأضـرار المادیـة الـتی لاـ یمکن لأحـد أن یعـدّها، وإن عـدّت فهی تبلغ آلاـف الملیارات من الدولارات!

شحنة الأمل و التفاؤل

ولکی لا ـ يلين عزم الإنسان ولا تتوقف حرکته التکاملية فی هذه الحياة بفعل اليأس والتشاؤم وبسبب تلک المنعطفات الخطيرة. ومن أجل أن يمضی إلی الأمام باستمرار، لابد أن يحدوه الأمل، وتغمر نفسه الثقة بحلول المستقبل الزاهر المشرق الذی تنعدم فيه تلک الويلات والمآسی، وترفرف راية العدل علی ربوع العالم، وينتهی عهد الظلم والاعتداء ونهب الثروات، والاعتداء علی الحقوق والکرامة الإنسانية.والسبب فی ذلک أن الإنسان الذی يتغلّب عليه اليأس ويستولی علی کيانه، يصبح عاجزاً تماماً عن إنجاز أی عمل، وعن تحقيق أی هدف سامٍ، بل إنه لا يستطيع أن يقدّم شيئاً، ويتقدم به علی طريق ذلک الهدف، فاليأس هو قرين الانتحار، والإنسان اليائس هو الذی أمات نفسه بيديه قبل أن يموت علی يد الآخرين، أو يموت موتته الطبيعية.

امل البشرية

وبناءً علی ذلک؛ يطرح السؤال المهم التالی نفسه فی هذا المجال: تری ما هو الأمل الذی يجعل البشرية تتحرک وتنساب إلی الامام، نابذة وراءها حجب اليأس وسحابات القنوط؟إن هذا الأمل يتلخص –من منظورنا الإسلامی الأصيل– فی أن الله تقدست أسماؤه قطع لبنی الإنسان عهداً ووعداً صادقين لا سبيل إلی التراجع عنهما، يتمثلان، فی أن مسيرتهم لابد لها من أن تنتهی إلی السعادة الحقيقية واستتباب العدل والقسط بين الناس.ونحن نجد هذا الوعد الإلهی مدوناً بصراحة ووضوح لا ـ سبيل الی الشک فيه؛ فی التاريخ، وبالتحديد فی الکتب والرسالات السماوية بلا استثناء، وقد أکدت عليه بالخصوص الرسالة الإسلامية، وصاحبها سيدنا وحبيب قلوبنا محمد صلی الله عليه وآله، حيث نقرأ فی الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وتلک التی رويت عن الأئمة الأطهار عليهم السلام، التأکيد المتواصل والمستمر علی هذه الحقيقة، کقول الله تعالی: [وَنُرِيدُ أن نَّمُنَّ عَلَی الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِی الَارْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ]وکقول النبی صلی الله عليه وآله فی حديثه المعروف": لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة لطوّل الله تلک الليلة حتی يملک رجل من أهل بيتی يواطئ اسمه اسمی واسم أبيه اسم ابی يملأها قسطاً وعدلا کما ملئت ظلماً وجورا... [۲] .

سنة لابد منها

وهکذا فإن الرسول صلی الله عليه وآله يريد من خلال بياناته الشريفة فی هذا الحديث أن يؤکد لنا أن سنة ظهور الإمام، وتحقق العدالة الإلهية، وامتلاء الأرض بالقسط والعدل. کلّ ذلک إنما يمثل سنة ثابتة لا يمکن أن تتغير، ولابد لها من أن تتحقق وتقع، وإن تطلّب ذلک واستوجب حدوث تغيير فی طبيعة الکون؛ کأن يطول اليوم الأخير من الحياة الدنيا، ويمتد إلی اکثر مما هو مألوف، وهو الأربع والعشرون ساعة.فالرسول صلی الله عليه وآله يريد التأکيد هنا بقوة وشدّة علی هذه الحقيقة الکبری، وعلی تحقق ذلک الأمل المنشود من قبل جميع الرسالات الإلهية، ومن قبل جميع الأمم والشعوب، فالله سبحانه وتعالی لابد من أن يظهر مهدی هذه الأمة، وإن استلزم هذا الظهور تغيير السنن الطبيعية فی الکون، نظراً إلی أهمية هذا الظهور وإلی کونه يمثل السنة الکبری التی تفوق أهميتها سائر السنن فی الکون.

البشرية فی الانتظار

وبالطبع؛ فإن الحديث الشريف لا يعنی أنه سيبقی يوم واحد من عمر هذه الدنيا، ثم يطوّل الله تعالی هذا اليوم، بل إنه بصدد بيان الأهمية الفائقة التی يتمتع بها هذا الحدث العظيم، وکونه من الحتميات التی لابد من حدوثها، لأنه يمثل حقيقة ثابتة خلقت من أجلها البشرية، حيث أن هذه البشرية المنهکة المعذبة التی عانت الأمرّين من نزوات حکّامها وطغاتها، وقاست الويلات والمآسی والمحن بفعل شهوات طغاتها، تنتظر علی أحرّ من الجمر هذا اليوم الموعود الذی ستذوق فی ظله الطعم الحقيقی للسعادة، حيث سيظهر الإمام المهدی عجل الله فرجه، ومن بعده عيسی بن مريم عليه السلام الذی سيبادر إلی الائتمام بالإمام المنتظر، والصلاة خلفه، ليدفع أهل

الأدیان وأصحاب الشرائع السماویة الأخرى إلى الإیمان بالإمام واتباعه، والدخول فی الدین الإسلامی الذی سیجمع الدیانات جمیعاً، ویوحد تحت رایته التوحیدیة جمیع القومیات والطوائف البشریة بجمیع میولها وانتماءاتها الدینیة والقومیة، لیحکم الکرة الأرضیة دین واحد، هو الدین الذی جاء به نبینا الأعظم محمد صلى الله علیه وآله وأحیاه ولده الإمام المهدی عجل الله فرجه.وإننا لنلمس الیوم من خلال الحرکة الراهنة للبشریة أنها کلما خطت خطوة الى الأمام، کلما اقتربت من حالة الاندماج، والاتحاد والتلاحم بین مختلف فئاتها وقومیاتها وأقالیمها، وهذا دلیل على أن ما أکده الرسول صلى الله علیه وآله فی أحادیثه الشریفة بخصوص الفرج إنما هو الحق الصریح الصادق والوعد الذی لابد أن یتحقق. فمسیرة البشریة متجهة لا محالة باتجاه ذلک الیوم الموعود بإذن الله تعالى.

انتظار الفرج افضل الأعمال

الحدیث عن الإمام الحجة عجل الله فرجه، حدیث عذب ذو شجون، ولذلک سأحاول مراعاة الاختصار والإیجاز ما أمکننی ذلک، واستلال ما أستطیع استلاله من عبر ودروس من مجمل ماله صلة بواقعنا ومواقفنا وسلوکیاتنا فی حیاتنا المعاصرة.

علاقة الانتظار بواقعنا

وسأبدأ بحثی هذا بطرح سؤال فی غایة الأهمیة، وهو: ما هی علاقة الانتظار وفکرته والعقیدة به، وإیماننا بالإمام الحجة المنتظر بواقعنا المتدهور الذی نعیشه فی عالمنا الإسلامی، وهل باستطاعتنا الاستفادة من هذه الفکرة والعقیدة والبصیرة الإلهیة لکی نغیّر بها واقعنا السیء الى واقع افضل، وکیف السبیل إلى هذا التغییر؟قبل الإجابة على هذا التساؤل المهم والحساس لابد ان نضرب مثلاً من واقع رجل لم یکن یمتلک بیتاً، فسعى وجهد من اجل ان یکون له ذلک، وجهد فی توظیف کل إمکانیاته وطاقاته المادیة والمعنویة من اجل اقتناء البیت کأن یشتریه جاهزاً أو یبنیه؛ وهکذا الحال بالنسبة إلى الذی یرید أن یبنی حیاة زوجیة فإننا سنجده یحاول ان یختصر الزمن والمسافة فی سبیل توظیف کل ما یملک من رصید اجتماعی واقتصادی فی سبیل تحقیق طموحه فی إقامة حیاته الزوجیة التی یطمح إلیها.وإذا کان الأمر یتطلّب کل هذا البذل والمجهود والسعی من اجل بناء بیت أو حیاة زوجیة، فما بالک بمن یرید تحریر بلده أو إنقاذ أمته او خلاص شعبه، ألیست القضیة اخطر واهم من ذلک؟ولذلک فان على مثل هذا الإنسان او الجماعة او الأمة إن أرادوا تحقیق أهداف کهذه الأهداف العظیمة، أن یختصروا هم أیضاً کل مسافة بعیدة تحول بینهم وبین مرامهم، وان یبذلوا کل ما یملکون، ویجهدوا أنفسهم ما استطاعوا لکی یبلغوا تلک الأهداف المتمثلة فی بناء وطن شامخ یلیق بمکانتهم ومنزلتهم.ونحن الیوم فی هذا الزمن المصیری الذی نعیش فیه صراعاً مریراً، ومعرکة الموت والحیاة مع الأنظمة الطاغوتیة، فإن قضیتنا عظیمة ومهمة للغایة، وأن أولئک الذین یستهینون بها إنما یحتقرون أنفسهم – من حیث لا یشعرون– ویستهینون بکرامتهم وتاریخهم وقیمهم.

ازمة الأنظمة الطاغوتیة

ان قضیة هذه الأنظمة الطاغوتیة لیست بالقضیة الهینة، ولذلک لابد لنا فی مواجهتها من استخدام کل عناصر قوتنا، وجمیع إمکانیاتنا، ولعل أبرزها جمیعاً وأکثرها قوة، تلک القوة الکامنة فی عقیدة (انتظار الفرج) التی هی إحدى ابرز عقائدنا.فلولا هذا الأمل الذی تلوح اشراقته على آفاق الزمن، ولولا ومضة النور التی أوجدها هذا الأمل فی قلوبنا رغم ما عانیناه ونعانیه من عصور الاضطهاد والقمع والآلام وما فیها من ظلام حالک یبعث على الیأس والإحباط المحدقین، لکان الانهیار والزوال من نصیب وجودنا وهویتنا، ولکن الله تبارک وتعالى شاء لنا الامتداد والبقاء بنور بقیته فی الأرضین کما یقول – عز من قائل–: [بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ].فالظلم والإرهاب والاضطهاد الذی لحق بنا، لو کان نزل على الجبال لهدّها ولانصهرت منه زبر الحدید وعلینا ان لا نظن ان العالم یغفل سرّ قوتنا، بل ان الأحداث – التی نعیشها الیوم وفی التاریخ– أضحت محور تساؤل الغرب وغیرهم عن سرّ هذه القوة.وأنا اذکر فی هذا

المجال انّ أحد الصحفيين الفرنسيين التفت إلى الظاهرة الثوريـة التى نمتاز بها نحن الشيعة فى تحركنا وعملنا الجهادى، فسألنى عن السبب أو السر الذى جعل الشيعة مستقيمين وصامدين رغم مالاقوه من قبل الأنظمة الطاغية مـن قهر وقتل وتغريب ومطاردة؟ فأجبته على سؤاله هذا قائلًا: إننا –نحن الشيعة– أهل توكل على الله تعالى، وأمل بالمستقبل.

انتظار الفرج افضل الأعمال

أن تاريخ الشيعة هو تاريخ العطاء والتضحيات الجسام، وتاريخ الآلام والمعاناة والمطاردة، والسجون، انه تاريخ الإمام الحسين والإمام موسى ابن جعفر عليهم السلام؛ ومع ذلك كلّه لم نتحطم، ولم نستسلم لليأس، بل ازددنا رغم قوة الدمار تألقاً وصلابة وقوة وإظهاراً لحقّنا وحقوقنا المهدورة المغصوبة.. وكل ذلك يعود الفضل فيه إلى ذلك الأمل العظيم الذى كان الطاقة التى حركت عجلة مسيرتنا فى التاريخ؛ أنه انتظار الفرج، الذى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله": افضل أعمال أمتى انتظار الفرج."ونحن كلما عمّقنا هذه الفلسفة الإيمانية الحقة فى الأجيال المتلاحقة من أبنائنا وأحفادنا، استطعنا أن نصل إلى الأهداف المرجوة، والغايات المنشودة. والذى يذهب منّا إلى الشك فى هذه العقيدة الراسخة بسبب وطأة البلاء، والمصائب الشديدة القاسية التى تبعث على اليأس، فان مثله كمثل الذى يجلس على غصن شجرة ثم ينشر جذعها بمنشار، فهو سرعان ما يهوى إلى الأرض.أن كياننا قائم على مجموعة من الركائز القوية المتينة، من أبرزها هذه العقيدة الراسخة فى قلوبنا؛ أى فكرة ظهور الإمام المهدى عجل الله فرجه، وليس هناك فوق هذا الكوكب الذى نحيا عليه ورغم ما تزدحم وتتصارع فيه آلاف الأديان والمذاهب، بالإضافة إلى الأفكار والمبادئ والنظريات والفلسفات العديدة المنتشرة هنا وهناك؛ أقول ليس هناك دين أو مذهب أو مبدأ واحد يقول أن العلاقة بين الأرض والسماء، أو بعبارة أخرى؛ بين الإنسان وخالقه هى علاقة مستمرة كما هى عقيدة الشيعة، فنحن نؤمن باستمرار ودوام هذه العلاقة بين الإنسان وبارئه، ولا نرى انقطاعها كما هو الحال لدى اتباع المذاهب الإسلامية الأخرى، حيث يقولون إنها انقطعت بوفاة النبى صلى الله عليه وآله وانقطاع الوحى، ولا يعترفون بوجود إنسان يحيى على هذه الأرض ذى صلة بالله سبحانه، إلا أنه ليس بنبيّ.

عقيدتنا بالمهدى سرّ قوتنا

أما الشيعة فانهم يعتقدون اعتقاداً راسخاً، ويؤمنون تمام الإيمان بوجود هذا الإنسان الغيبى الإلهى الذى ينزل عليه الروح الأعظم فى ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر.والروح الأعظم هذا هو كيان اعظم من الملائكة، ومن جبريل وميكال، ينزل على الحجة عليه السلام، وهذا هو فخرنا وعزنا، وفيه تكمن قوتنا، وصلابة عقيدتنا، وسلاحنا الفاعل فى معركتنا، وصراعنا ضد الباطل وأهله مهما اختلفت أشكاله وألوانه، ووقوفنا بوجه أهل الظلم والجور والفساد فى الأرض. وهل من الممكن أن يتخلى المقاتل عن سلاحه فى الميدان حتى نتخلى نحن الشيعة عن عقيدتنا هذه وسلاحنا وقوتنا التى لا تنضب؟ومن هنا أرى إننا لابد من ان نوظف ما أمكننا من إيماننا، وعقيدتنا هذه بالإمام المهدى عليه السلام، فى مقارعتنا، وصراعنا الطويل مع قوى الظلم والفساد والطغيان، ولابد من ان نزداد استلهاماً من إيماننا به عليه السلام وانتظار فرجه فى صراعنا الحضارى، وذلك بأن نربط القضية التاريخية أو القضية العقائدية بقضايانا الراهنة التى نشهدها.

اهمية الأمل و التفاؤل

ويا حبذا لو أكد المفكرون والأدباء وأصحاب الأقلام فى مقالاتهم ونتاجاتهم الأدبية الفكرية والثقافية على قضية منح الأمل، وتعزيز ثقة الناس به بأن يبينوا أهمية الانتظار، والآثار العظيمة بل والبركات والخيرات التى تنهمر علينا بفضل دعاء الإمام عليه السلام لنا، ثم يتناولوا بالبحث والدراسة والبيان الواضح قضية الظهور، ودورنا نحن فى التمهيد، والتعجيل لهذا الظهور. فلماذا هذا التخوّف والتردد وعدم الاهتمام فى بيان قضية الإمام وانتظاره وظهوره من أقوال المتقولين، وسخرية الساخرين الذين لا يؤمنون بالإمام المهدى؟ أليس

هـذا التخوّف والتردد دلیلًا علی ضـعف العقیـدة به علیه السـلام؟ علماً ان هـذا الضـعف لربما یخلّ بمجمل الکیان العقائدی؟فلنوضـح عقیـدتنا ونتحـدث عنهـا بکـل صـراحة لیکون النـاس علی علم بها، کما یقول الله تعالی فی محکم کتابه الکریم: [وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَبِّکُمْ فَمَن شَآءَ فَلْیُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْیَکفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِینَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا].

فکرة الانتظار ترعب المستکبرین

أن هذه العقیدة التی یسـخر منّا بسـبها بعض طوائف المسـلمین لجهلهم، باتت تؤرق أعداء المسـلمین من الصهاینة والمستکبرین الذین یحسـبون لها منـذ الآن ألف حساب وحساب، ویعـدون العـدة لمواجهـة صاحب لواء الخلاص، والمنقذ العظیم الذی سیقضـی بظهوره المبارک علیهم، وعلی کفرهم وضـلالهم وفسادهم فی الأرض.وتأسـیساً علی ما سـبق فلنعّمق هذه الروحیة، ونعززها فی أعماق أولادنا وأجیالنا القادمـة، ولنقرأ المهـدی عجل الله فرجه السـلام فی کل صـباح ومساء، ولنـدع له. ففی هـذا الـدعاء، وتلک التحیة کل البرکة والخیر، ولنجـدد العهـد معه کل یوم وإن طالت، وتعقّدت مشاغلنا الحیاتیة، ولنبایعه فی کل یوم جمعة عندما نقرأ دعاء الندبة قائلین ": این معزّ الأولیـاء ومـذّل الأعـداء، أین قاصم شوکـة المعتـدین؟"فهـذا الـدعاء وغیره من شأنه ان یعزز علاقتنا به عجل الله فرجه، ویعمق إیماننا بالانتظار ونعطی مفهومه حقه، من التجسید العملی المتمثل فی العمل علی تربیة نفوسنا اولًا، ثم المبادرة الی تغییر الواقع الفاسد.

فی انتظار الامام المهدی

الابعاد الحیاتیة للعقیدة بالإمام المهدی

«قُـلْ أَطِیعُوا اللَّهَ وَأَطِیعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فإِنَّمَا عَلَیْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَیْکُم مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِیعُوهُ تَهْتَـدُوا وَمَا عَلَی الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاَغُ الْمُبِینُ ، وَعَـدَ اللَّهُ الَّذِیـنَ ءَامَنُـوا مِنکُمْ وَعَمِلُـوا الصَّالِحَـاتِ لَیَسْـتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الاَـرْضِ کَمَـا اسْـتَخْلَفَ الَّذِینَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَیُـمَکِّنَنَّ لَهُمْ دِینَهُمُ الَّذِی ارْتَضَـی لَهُمْ وَلَیُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً یَعْبُدُونَنِی لاَ یُشْـرِکُونَ بِی شَـیْئاً وَمَن کَفَرَ بَعْدَ ذَلِکَ فَأُوْلَئِکَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ، وَأَقِیمُوا الصَّلاَةَ وءَاتُوا الزَّکَاةَ وَأَطِیعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ ، لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا مُعْجِزِینَ فِی الاَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِیرُ» (النور / ۵۴-۵۷)من المناسـبات والأحـداث العظیمـة التی یجب علی کـل مؤمن ومسـلم، وعلی وجه الخصوص الاـخوة المؤمنون الرسـالیون الـذین یشـکلون طلیعة المجتمع والأمة، الاسـتفادة القصوی منها واسـتخلاص الدروس والعبر والوعی المسؤول من وحیها؛ مناسبة لیلة النصف من شعبان، حیث ولادة النور الإلهی المحمدی، ولادة إمامنا الحجة بن الحسن عجل الله فرجه، فزاد هذه اللیلة کرامة الی کرامتها، وهذا الشهر شرفا وعظمة إلی شرفه وعظمته.

بصائر المعرفة بالامامة و الإمام

فمناسبة شریفة کریمة تتمثل بمیلاد خاتم الأوصیاء وإمام العصر والشفیع الذی لا یزال ناظرا ورقیباً، سیدنا وإمامنا المهدی المنتظر عجل الله فرجه وجعلنا من أنصاره وأعوانه؛ مناسـبة کهـذه لابـد أن تکون محطة تزود وانطلاق للمؤمنین الرسالیین، وحافزا قویا للتقدم والقفز الی الأمام علی طریق التطور الإیجابی، والانبعاث المتواصل من عمق الأمل والطموح الرسالی المستمد من وجود الإمام عجل الله فرجه، ونبذ السـکون والانفلات من قوقعة الجمود.. وذلک عن طریق أکثر من رؤیة وبصـیرة إیمانیة یجب أن نستفیدها من هذا البحر الزاخر، والفیض الإلهی المتدفق.فلو عرف الإنسان مستوی درجة الإمامة، والمقام الأرفع والأسمی لها؛ ولو عرف أن الإمام والامامة هی الدرجة التی تسـبق والتی تلحق درجـة النبوة. فإبراهیم علیه السـلام کان نبیاً ورسولاً من أولی العزم حینما امتحنه الله سـبحانه بأشـد الامتحانات؛ بـالنیران التی القی فیها فصبر وسـلم لله تعالی. بالهجرة، حیث ترک زوجته وطفله الرضـیع عنـد البیت الحرام اذ لا ماء ولا زرع وسـکن،

وبأمره أن يذبح ابنه بيده، وغيرها من الابتلاءات العظيمة. هنالك فقط وبعد أن اجتاز إبراهيم عليه السلام كل الامتحانات، جعله الله سبحانه إماما «وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَتِي قَالَ لَا يَنالُ عَهدِي الظَّالِمِينَ».فإذا عرفنا هذه الحقيقة، وعرفنا أن مولانا المهدى عجل الله فرجه هو إمام، أى انه فى هذا المستوى العظيم والدرجة الرفيعة، وأنه حى يتعايش معنا ويرانا من حيث لا نراه، وأنه مطلع على أحوالنا ويراقب صفحات أعمالنا التى تعرض عليه يومياً، وأننا بحاجة ماسة إليه، لبركاته ونوره وحبه و.. ليشفع لنا ذنوبنا ولنهتدى به جادة الحق والصواب ويوحدنا وينقذنا من صحراء التيه والضياع، من الانكسار والذلة، إذا عرفنا ذلك، فلابد ان نستفيد من هذه المعرفة عدة بصائر، ولنتساءل عن كيفية إقامة علاقة حقيقية تربطنا بالإمام عجل الله فرجه، وكيف نمتن هذه العلاقة؟ وهل أن الحجة عليه السلام هو الذى لا يريد إقامة مثل هذه العلاقة معنا أم أننا نحن الذين لا نريد ولا نسعى إليها؟فى هذا الجانب ينقل أحد العلماء أنه وبينما كان يشتغل بالتدريس فى النجف الاشرف إذ جاءه رجل من أهل القرى البعيدة وطلب الدراسة من اليوم التالى. وفى أحد الأيام صادف أن فقد العالم خاتمه، ففتش كل زوايا بيته فلم يعثر عليه، فأصبح مغموما لأنه كان متعلقا بهذا الخاتم، ولكنه عندما حضر لإلقاء أحد الدروس على طلبته قام ذلك الطالب الجديد فقال له: ياسيدنا، إن خاتمك موجود فى غرفتك، وفى الموضع الفلانى بالتحديد فتعجب العالم من معرفة الطالب بأمر خاتمه، ومعرفته بالمكان الموجود فيه بالتحديد. الا ـ أنه كتم عجبه وذهب إلى بيته فرأى الخاتم هنالك فى الغرفة كما أخبره الطالب ومرت الأيام والليالى فحدث أن أضاع العالم شيئاً معيناً فى بيته أيضاً، فحدثت مشادة بينه وبين زوجته بسبب ذلك، وكما فى المرة الأولى جاء السيد العالم الى مكان الدرس، فإذا بنفس الطالب يقول له: بأن الشيء الذى فقدته هو فى المكان الكذائى من بيتك. وبعد انتهاء الدرس ذهب العالم إلى البيت فوجد ما أضاعه فى نفس المكان الذى أخبره عنه ذلك الرجل. يقول هذا الفقيه: بأننى كنت فى غاية العجب من أمر هذا الرجل، فأنا متأكد بان لا ـ أحد يعلم بأننى أضعت ما أضعت، كما أنى فتشت بيتى مراراً فلم أعثر على ما فقدته قبل أن يخبرنى هو بذلك، فذهبت اليه وقلت: يا أخى من أين تأتى بهذه الأخبار العجيبة؟ فقال لى: أنا أيضا لا أعرف، ولكنه أحد أصحابى أراه فى الشارع واسلم عليه، هو الذى أخبرنى بذلك. يقول العالم: فشكرته وطلبت منه إذا ما رأى ذلك الشخص ثانية أن يقول له بأن السيد (العالم) يريد أن يصل بخدمتك، فجاءنى فى اليوم التالى وقال: بانه نقل رغبة السيد لصاحبه فرد عليه بالقول: قل للسيد أن يصبح آدميا حتى أصل أنا بخدمته!وينقل السيد الفقيه أنه سأل الطالب عمن يكون وما هى قصته وأعماله وسلوكه الذى أوصله الى هذه الدرجة، بحيث أصبح يلتقى بالإمام الحجة عجل الله فرجه، فذكر له بأنه أحد أبناء شيوخ العشائر، وأن والده رجل يفعل المنكرات من قتل ونهب و..، وأنه (أى الابن) ينكر أفعال والده ولكنه لا يملك القدرة على مقاومته. وبعد أن مات والده فى إحدى الليالى كان منصب رئاسة العشيرة سينتقل إليه حسب العادات والتقاليد العشائرية فى مثل هذه الحالة، ولأنه يخشى أن يكون مثل والده إن هو تسلم المنصب فيقوم بفعل المنكرات والمحرمات، بقى تلك الليلة يفكر حتى الصباح ويخير نفسه بين الدنيا والآخرة، فقرر فى نهاية الأمر أن يترك عشيرته وبيته ويهرب من هذه المسؤولية الى النجف الأشرف ليكون طالباً للعلم عند هذا العالم. لقد فرّ هذا الرجل الصالح من الرئاسة المنكرة، ومن حطام الدنيا الفانى؛ فر بدينه وأخذ يرى الإمام المهدى عجل الله فرجه «تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَاداً»

توثيق عرى العلاقة بالإمام المنتظر

نعم؛ إن الإمام موجود معنا وقريب منا، ولكن الأعمال السيئة والمنكرات هى التى تحجب أبصارنا عن رؤيته، وتسد أسماعنا عن سماع كلامه، وسماع جوابه عندما نزوره ونسلم عليه مثلًا، وكذلك جميع الأئمة الأطهار عليهم السلام. وإن الله سبحانه قريب منا، أقرب مما نتصوره بعقولنا الغافلة وأحاسيسنا المحدودة. «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»، وكما يقول الإمام السجاد عليه السلام فى دعائه. "وإنك لا ـ تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمال دونك. [" ۳] فهو تعالى ليس ببعيد عنا، ولكننا نحن البعيدون عنه سبحانه

نتیجة لسوء أعمالنا..إذن؛ فالإمام عجل الله فرجه موجود معنا، والواجب أن نصلح أنفسنا لنشعر بوجوده ونعمق علاقتنا به، بل قد نحظی بشرف رؤیته واللقاء به فی بعض الأوقات والأماکن، فذلک شیء ممکن بإذن الله تعالی. ولکن کیف یمکننا أن نصلح أنفسنا ونزید من ارتباطنا وحرارة علاقتنا به عجل الله فرجه؟هناک عدة خطوات یمکن أن نقوم بها فی هذا السبیل، وهی خطوات بإمکان کل شخص منا القیام بها بتوفیق الله له، وبلا صعوبات وتعقید، إذا ما صمّمنا وامتلکنا الإرادة الإیمانیة لذلک، منها:۱- زیارة الإمام عجل الله فرجه والسلام علیه بعد الانتهاء من أداء صلاة الصبح، ولو بجملة واحدة هی: السلام علیک یا مولای یا صاحب الزمان.۲- کذلک وبعد الفراغ من کل صلاة، وکما ندعوا لأنفسنا وآبائنا وأمهاتنا وإخواننا المؤمنین، لابد من الدعاء للإمام علیه السلام ولو بقدر قلیل من الأدعیة الکثیرة المعروفة فی هذا الخصوص.۳- وحتی عند تجمعنا وجلوسنا للحدیث والتشاور و..، یجب أن یکون دعاؤنا للإمام والتطرق الی ذکره ولو بعد الانتهاء من أحادیثنا الخاصة؛ فهو أیضا عجل الله فرجه ذاکر من یذکره، وداع لمن دعا له.۴- تخصیص یوم واحد فی الأسبوع، وبالذات یوم الجمعة لقراءة الأدعیة والزیارات الخاصة بالإمام، کدعاء الندبة، ودعاء العهد، وإحدی الزیارات الخاصة به.۵- وحتی فی مشاکلنا والأزمات التی نواجهها یومیا، والأحداث المفاجئة التی قد نتعرض لها فنتضایق منها.. فإن من الجمیل والواجب أن ندعو الله سبحانه ببرکة الإمام الحجة أن ییسر لنا أمورنا ویقضی حوائجنا.إن کل ذلک وغیره من الخطوات الإیجابیة المطلوبة، یجعلنا نعایش حضور الإمام عجل الله فرجه ونکوّن معه علاقة صمیمیة. ومرحلة بعد مرحلة، ودرجة بعد أخری، سنجد أن نورانیة الإمام الشریفة المبارکة ستجذبنا إلیها وتأخذ بأیدینا وتدفعنا الی الإمام، وقد نحظی فی یوم ما بلقائه والتزود من فیض نور وجوده وبرکته. فنحن کما ندعو له ونسلم علیه ونزوره و..، فهو أیضا یفعل ذلک تجاهنا، وبذلک نبنی علاقتنا به وتستمر هذه العلاقة وتنمو وتتکامل.

العقیدة بالإمام الحجة

إن العقیدة بالإمام المهدی عجل الله فرجه یجب أن تخلق تطوراً فی حیاتنا، ولکن کیف نستفید من هذه العقیدة لتحقیق ذلک؟لقد جاءت سورة (النور) لتنظیم العلاقات فی المجتمع، وبین الأسرة الواحدة بالذات، حیث یأتی الحدیث فی بدایتها عن المجتمع والعلاقات الاجتماعیة والمعالجات والعقوبات للمفاسد التی تطرؤ علی هذه العلاقات.. «سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِیهَآ ءَایَاتٍ بَیِّنَاتٍ لَّعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ» کذلک تأتی فیها آیات حول الاستخلاف فی الأرض «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِینَ ءَامَنُوا مِنکُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الأَرْضِ» وفیها أیضا حدیث عن بیت النبوة «فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَیُذْکَرَ فِیهَا اسْمُهُ یُسَبِّحُ لَهُ فِیهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ»فما هی العلاقة بین قضیة النبوة والإمامة من جهة، وبین العلاقات الاجتماعیة من جهة أخری؟أن الإنسان عندما یرید أن یحسن أخلاقه وسلوکه وعلاقاته وطریقة معاملته مع الآخرین، فلابد أن یکون لدیه برنامج ما لیسیر علیه؛ أن تکون له أسوة وقدوة ونموذج یحتذی به ویتبعه. فإذا کنا نرید أن نقوّم ونطوّر مجتمعنا، فلابد أن تکون لدینا علاقة مع إمام، مع حجة. وبتعبیر آخر، لا بد أن یکون أمامنا ضوءاً نتحرک علی أساس حرکته وکشفه للواقع. فأهم شیء فی قضیة علاقتنا بالإمام الحجة عجل الله فرجه هو أنه یجب أن نبرمج حیاتنا بمختلف جوانبها وسلوکیاتها علی أساس العقیدة به، وعلی أساس قبوله أو رفضه لما نقوم به فی هذه الحیاة.فلو أنا ذهبنا علی سبیل المثال الی ولیمة عند أحد الشخصیات المعروفة کأن یکون مرجعاً وعالماً کبیراً، أو شخصیة جهادیة بارزة، فمن الطبیعی أن الإنسان سینظر الی حرکات وسکنات تلک الشخصیة، وکیف یتناول الطعام أو الشراب مثلا.. فهو ینظر الیه ویراقبه لیتعلم منه ویتخذ منه قدوة له. ونحن ما دمنا نعتقد بوجود الإمام المهدی عجل الله فرجه، فلماذا لا نفکر فیما یقبل به، وما الذی یرفضه منا؟ وهل نحن نقوم بالأعمال التی تلقی قبوله، أم تلک التی تؤذیه؟أذن؛ لابد أن ننظم سلوکنا الاجتماعی مع الاخرین ومع أنفسنا والأقربین منا علی ضوء ما یریده الإمام منا من تنظیم لسلوکیاتنا وعلاقاتنا الاجتماعیة، وقد یقول البعض بأننا لا نعرف سلوک وأخلاق وأعمال الإمام المنتظر عجل الله فرجه، کیف یأکل ویشرب ویلبس ویتکلم..یجب أن نعرف بأن الإمام الحجة عجل الله فرجه هو خلاصة الأئمة

الطاهرين من قبله، فكلهم محمد صلى الله عليه وآله، وكما يقول الحديث الشريف ": أولنا محمد، أوسطنا محمد، آخرنا محمد،" فكل الأئمة عليهم السلام يمثلون اتجاها واحداً، وشخصية واحدة، وهدفا واحدا، وان اختلفت الظروف والخصوصيات لكل واحد منهم عليهم السلام. لذلك إذا ما أردنا الاستفادة من هذا السراج الوضاء، ومن هذا البرنامج السامی، فيجب أن نبرمج حياتنا على أساس متين، وهو أن الإمام الحجة عجل الله فرجه قدوة وأسوة يجب أن نتبعها. ولذلك لابد أن نتساءل فی هذا الجانب، هل أن الإمام يختار شخصاً ليكون من أعوانه وأنصاره، وهذا الشخص يقضی ليله بلعب القمار حتى الصباح مثلا، ولا يصلی صلاة الصبح، وذو أخلاق وعرة سيئة مع عائلته ومع الناس الآخرين؟بالطبع لا؛ فانه يختار اناساً مؤمنين طيبين، رهبان الليل وفرسان فی النهار، سيماهم فی وجوههم من أثر السجود، قائمون، صائمون، متضرعون، وفی قمة الأخلاق الكريمة. لذا يجب أن نهتم بأنفسنا ونزكيها بالأخلاق والأعمال الصالحة ونصلح من شأنها، لا أن يكون جلّ اهتمامنا هذه الحجب المادية التی سرعان ما تبلى وتنفى جانباً، أويكون اهتمامنا منصّباً على ما يقول الناس فينا. فمثل هذه الاهتمامات تصبح عائقا أمامنا وسبباً لعدم تطورنا وتقدمنا وتزكية أعمالنا ونفوسنا.

الانتظار مفهوم رسالی نهضوی

يتصور البعض أن مفهوم الانتظار مفهوم رجعی جامد يدعونا الى السكون والسكوت عن الظالمين والعياذ بالله، فی حين أن العكس هو الصحيح. فلو نظرنا الى التاريخ لوجدنا أن الشيعة منذ البداية وحتى يومنا الحاضر، ويسبقون حتى ساعة الظهور المباركة، أصحاب الثورات وأهل النهضات والمقاومة الرسالية للظلم والظالمين، وما ذلك إلا لعقيدتهم بالإمام الحجة عجل الله فرجه، والمفهوم الرسالی الإيجابی للانتظار لديهم.فهذه العقيدة وهذا المفهوم هما اللذان يعطيان الأمل والحيوية للإنسان، لأن هناك قانون أو سنة الهية تتمثل فی أن الذی يكون مظلوماً، أو الذی يكون مع الحق فإن الله ناصره. وهذه السنة تتحقق فی أجلى صورها بالإمام الحجة عجل الله فرجه، لأنه عبد صالح وولی لله سبحانه، ومع الحق، ولأنه مظلوم ومضطر وصابر و.. وأی إنسان تتحقق فيه هذه السنة الإلهية، وهذه الصفات بنسبة معينة، فإن الله سبحانه ينصره بمقدار تلك النسبة.والدليل على ذلك أن النبی صلى الله عليه وآله هو أول من بشر المسلمين بظهور الإمام الحجة عجل الله فرجه، حيث أن هناك أكثر من إحدى وخمسين رواية مذكورة عن النبی صلى الله عليه وآله فی كتب علماء السنة فقط تتحدث عن الإمام المهدی عجل الله فرجه، ومن بين علماء السنة من كتب كتاباً خاصاً عنه عليه السلام فی سنة ۱۲۷ هـ أی قبل أن يولد، مثلما كتب علماء الشيعة عنه أيضا قبل ولادته. وبالإضافة الى الشيعة فإن أكثر علماء السنة الموجودين حالياً يذكرون فی كتبهم بأن العقيدة بالإمام المهدی عجل الله فرجه جزء من العقائد الإسلامية الثابتة. وهكذا كان النبی صلى الله عليه وآله هو المبشر الأول بالحجة عجل الله فرجه.إن الإيمان بالمهدی عجل الله فرجه كامل مكمل للمنظومة الإمامية، فكما أن الطائرة لا يمكنها التحليق فی الجو اذا أصابها عطب أو خلل فی أحد جناحيها أو أجهزتها العديدة التی تكون بمجموعها وحدة واحدة لا يمكن الاستغناء عن إحداها أو إلغائها، وكما أن الذی يؤمن بالزكاة والحج والخمس ولكنه لا يؤمن بالصلاة وينكرها يعتبر كافراً وليس مسلماً لأنه يفتقد جزءاً رئيسياً من منظومة الإيمان.. كذلك الذی لا يؤمن بالإمام الحجة عجل الله فرجه فهو لديه مشكلة رئيسية وخلل عميق فی ركن أساس من الإيمان، ولذلك لا ينصره الله تعالى.فالإيمان بالحجة، والإيمان بأن الله سينصر المظلوم، والثائر القائم بالحق الذی يدعو الى الله سبحانه، هذا الإيمان هو الذی يبعث النهضة فی صفوف المسلمين، حيث نرى أن الشيعة الرساليين فی جنوب لبنان قد طردوا الصهاينة ولا يزالون يجابهون العدو بروح التضحية والأمل بالنصر بفضل كلمة يا مهدی أدركنی. وهذا الإيمان بصاحب الزمان عجل الله فرجه هو الذی أعطاهم الحيوية والأمل بالنصر والسعی له!والقرآن الكريم عندما يتكلم عن قضية الاستخلاف فی الأرض لا يخصص ذلك بالإمام الحجة عجل الله فرجه بل يعممه، لأن سنة الله فی الأرض تحققت مرة لبنی إسرائيل حينما أنقذهم الله بموسى بن عمران عليه السلام، وتحققت للنبی صلى الله عليه وآله والمسلمين على عهده الشريف، وستتحقق إنشاء الله فی عهد الإمام المنتظر عجل الله فرجه. فالأرض لا تتحرر بكاملها إلا بعد قيام إمامنا عليه الصلاة والسلام.

فوائد عصر الغیبة الکبری

اشاره

لابـد أن نعرف أن مثل الإمام الحجـة عجل الله فرجه بیننا کمثل الشـمس التی قـد تحجبها الغیوم، إلا أن نورها لابـد ان ینفـذ إلینا مهما تکـاثفت السـحب، وحرارتها ودفئها لابـد أن یصـلا إلینا، فمعینها باق ومسـتمر رغم تلک الغیوم والحجب.وقلب الإنسان المؤمن یعیش ویحیی بوجود حجـة الله فی أرضه کعیشه وحیـاته وسـط النهـار الـذی حجبت الغیوم شـمسه. فالإمـام المهـدی علیه السـلام هو شـمس المؤمن المحجوبـة عنه.فوائـد عصـر الغیبـة الکبریوهنا یطرح التساؤل التالی نفسه؛ ما هی الفوائد والثمار والمنافع التی یمکن أن نسـتفید منها، ونحصل علیها الآن فی عصـر الغیبـة الکبری؟ومن اجل الإجابـة علی هـذا التساؤل لابـد ان نمهد لـه بالقول: أن زمن ما بعد ظهور الحجـة علیه السـلام سوف تعمّ فیه الفائـدة والمنافع للجمیع، بل ولکل الأحیاء علی الأرض حتی تشـمل الملائکـة والجن وکل موجود عاقل. وقد جاء فی بعض الروایات أن إبلیس علیه اللعنة قد أُمهل هو الآخر إلی یوم الوقت المعلوم، الذی یفسر بأنه یوم الظهور وخروج المهـدی علیه السـلام، ذلک لأن إبلیس کان قد طلب أمهاله إلی یوم القیامة، ولکنّ الله تبارک وتعالی لم یجبه إلی ذلک، وإنما أمهله إلی یوم معیّن وهو – کمـا تقول الروایـات– یوم ظهور الإمـام الحجـة علیه السـلام، حیث سیُقمع فی ذلک الیوم الموعود إبلیس، وکل شیاطین الأرض، وعنـدها ینعم الإنسان والوجود کله بالخیر والسـعادة.وهکـذا ففی عصـر الغیبة الکبری، أو عصـر الانتظار ثمرة معنویة، وفائـدة روحیـة نسـتلهمها من خلال عقیـدتنا بالإمام المهدی علیه السـلام، وهذا هو مجمل فلسـفة الانتظار الذی نعیشه فی عصـر الغیبة، ویمکننا إجمال هذه الفائدة والثمرة المعنویّة والروحیة بثلاثة أمور أساسیة هی:أ– الفائدة الناجمة عن نفس عقیدتنا بالإمام الحجة عجل الله فرجه.ب– محبتنا وولاؤنا له علیه السـلام.ج– تأییـده لنا فی المواقف الحرجـة، وساعات العسـرة.سبیل الانتفاع بالإمام الحجـةوهنا قد یسأل سائل: کیف السبیل إلی الاستزادة، والانتفاع من نور هـذه الشـمس التی حجبتها غیوم الـدهر السوداء؟والجواب علی هـذا السؤال تتضمنه النقاط التالیة:

انتظار الفرج

والحـدیث عن هـذا الانتظار طویل وذو شـجون، ولکننا نسـتطیع أن نوضـح مفهومه من خلال ضـرب المثل التالی: أن الواحد منّا عندما ینتظر ضـیفاً عزیزاً علیه یقـدم إلیه فان حالته ووضـعه سـیکونان غیر الحالـة والوضع الطبیعیتین، حیث سترتسم معالم اللهفة والشوق علی وجهه، فنجـده یترقب قـدوم الضـیف علیه دقیقة بعد اخری، وعیناه مشدودتان إلی الطریق بعد أن یکون قد هیّأ فی بیته کل ما تسـتلزمه الضـیافة الکریمـة من فراش جیـد وطعام وشـراب لذیـذین، وما إلی ذلک... فکل هـذه الأمور إلی جانب الأمور المعنویـة التی یعیشـها الإنسـان تعکس معنی الانتظـار.فإن کان هـذا الاسـتعداد للصـدیق العادی الـذی یأتیک زائراً، فکیف الحال بالنسبة لإمام معصوم یأتی لینقـذ البشـریة المعذبـة، وینجّیها مـن آلامها ومعاناتها. وهمومهـا إلی الأبـد، أفلا تنتظره القلوب والأرواح قبل الأبدان؟أن ساعة الظهور هی أمر غیبی حُجب عنّا، وعن الإمام علیه السـلام نفسه، فلا یعلمها إلا الله سـبحانه. فنحن لا ندری هل سـتحل هذه الساعة بعد شـهر أو سنـة أو ربما دهر، فـذلک فی علم الله وحده کما أکدت علی ذلک الکثیر من الروایات، ولذلک فما علی المؤمن المنتظر إلا أن یدعو دائماً للتعجیل فی ظهوره عجل الله فرجه. وهـذه الـدعوة یجب أن لا تکون مجرد تردید لسان فحسب، بل دعاءً نابعاً من الصـمیم، ومن أعمـاق القلب الملهوف، التوّاق إلی ظهور الفرج لیعکس ویتجسـد فی سـلوک الـداعی وأعمـاله وجهاده الـذی یبرهن من خلاله علی صدق دعوته، وشوقه إلی ظهور المهدی، والله سـبحانه وتعالی یقول: « إدْعُونِی أَسْـتَجِبْ لَکُمْ» فلا یسـتخفّن مؤمن عامل بدعائه فیقول: ومـا قیمـة دعـائی؟ فللـدعاء أهمیته ودوره فی تعجیل ظهوره علیه السـلام، وحـدوث الفرج.فالخالق جل وعلا یـدعو عباده إلی الـدعاء، والإلحاح فی الطلب، حیث یقول: «وَقَالَ رَبُّکُمُ إدْعُونِی أَسْـتَجِبْ لَکُمْ إِنَّ الَّذِینَ یَسْـتَکْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِی سَیَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِینَ»، وفی

موضع آخر يقول عز من قائل:« وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِيْ وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ»فالله تبارك وتعالى يستجيب لدعوهٔ عبده المؤمن إذا اخلص العبادهٔ والدعاء، فهو سبحانه يحب إلحاح الملحّين. فلا ينسى أحد منّا عندما يفرغ من كل صلاهٔ يؤدّيها أن يدعو بتعجيل الفرج بظهور مهدى أهل البيت عليه السلام، وهذا ما يجب أن يتخذه كل مؤمن صادق الولاء لأهل بيت العصمهٔ منهاجاً وسيرهٔ، ألا وهو الدعاء بالفرج فى عصر الانتظار فهو لا محالهٔ يقرّب الفرج.

تعزيز روحيّهٔ الإنسان المؤمن

والأمر التالى يتمثل فى الفائدهٔ المعنويهٔ وتعزيز الروحيهٔ لدى المؤمن، إذ أن مجرّد الإيمان والاعتقاد بوجوده وحضوره عليه السلام فى هذا العالم رغم عدم معرفهٔ شخصه، فإن ذلك من شأنه أن يخلق الأمل والطموح لدى المؤمنين، ويهوّن لديهم المصاعب والمعضلات، ويزيل همومهم وآلامهم.. ولذلك فإن المؤمنين الصادقين لم يعرفوا الهزيمهٔ والانكسار المعنوى فى صراعهم مع أهل الباطل والكفر والعدوان والإلحاد.بلى؛ قد ينهزمون عسكرياً فلا ينالون النصر فى معركهٔ ما، ولكن هذه الهزيمهٔ لا يمكن أن تنال من معنوياتهم وروحياتهم ما دامت الغلبهٔ فى نهايهٔ المطاف لا تكون لأهل الظلم والجور، ومادام هناك فى هذا العالم إمام لابد من أن يظهر ويأخذ بثأر ومظلوميهٔ كل المظلومين على امتداد تاريخ العمل والجهاد فى سبيل إعلاء كلمهٔ الله عز وجل.

بركهٔ دعاء الإمام لأتباعه

فكما نحن ندعو له عليه السلام بالفرج والظهور، ونصرهٔ الله له، وأن يكون قائده وناصره ودليله وعينه، فأنه عجل الله فرجه يدعو بدوره لأبناء أمته ومحبيه ومواليه، ولعل أكثر النعم التى نعيشها ولا نكاد نحس بها أو لا تخطر على بالنا هى من بركات دعاء الإمام لنا؛ فلعل العديد من الكوارث التى نكره وقوعها ولكنّها مقدّرهٔ فى العلم الإلهى يجرى عليها البداء ببركهٔ دعاء الإمام المهدى عجل الله فرجه، فتزول أو يخفّف وطأها وأثرها.

الاجر و الثواب الإلهيان

فالله تبارك وتعالى يكتب لنا الأجر الجزيل لرسوخ عقيدتنا بالمهدى، ولدعائنا الكثير الدائم له بالظهور ووقوع الفرج بهذا الظهور المبارك، وقد جاء فى الحديث الشريف": أفضل أعمال أمتى انتظار الفرج، "وجاء أيضاً": أفضل العبادهٔ انتظار الفرج، "فلولا انتظار الفرج ليأس المؤمنون من جهادهم وعملهم فى سبيل الإسلام ورفعهٔ كلمته، ولضاقت صدورهم حين وقوع البلايا والمصائب وتوالى المحن والآلام عليهم؛ بلى لولا انتظار الفرج لما وثبوا إلى ساحات العمل والجهاد والبذل والتضحيهٔ بالمال والأنفس فى سبيل الله.فلا يبررن أحد تقاعسه وتكاسله ويدّعى أن لا فائدهٔ ولا جدوى من الجهاد والعمل، إن كان يؤمن ويعتقد بإمامه المهدى عليه السلام، وانتظار ظهوره، وحلول الفرج. فالمنتظر لظهور إمامه عليه السلام يعتبر كل جهد يبذله فى سبيل الله تعالى ريحانهٔ يغرسها على طريق الظهور، يستقبل بها إمامه الظاهر لا محالهٔ، والذى سيملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وهذه حقيقهٔ ثابتهٔ.ونحن لو نظرنا إلى كل المجاهدين والعاملين فى طريق الإسلام وفى مجالات الخير والصالحات لوجدناهم جميعاً ممّن يحبّون الإمام، وينتظرون خروجه وفرجه، وهذا يعود إلى كون قلوبهم حيّهٔ طريّهٔ عامرهٔ بالإيمان والأمل.وهنا أعود لأذكّر على أن مجرّد انتظار الفرج من شأنه أن يخلق الحيويهٔ والنشاط والأمل لدى المؤمن، فيحفزه على العمل والنشاط الدؤوب والبذل وخوض غمار العمل والجهاد، فنراه ينفق ماله فى الخيرات ومشاريع الخير والصلاح إن كان ذا مال، أو يجنّد نفسه وطاقاته إن كان صاحب جسم قوى ونشاط، أو يوظف فكره وقابلياته ومواهبه على هذا الطريق إن كان ذا ثقافهٔ وعلم وأدب وفن.وهكذا فان انتظار الفرج هو الأمر الأول الذى نستفيد منه كفائدهٔ معنويهٔ من فوائد عصر الغيبهٔ الكبرى.أما الأمر الأساسى الثانى فهو حبّنا للإمام عليه السلام وولاؤنا له. فالإنسان الذى يؤمن

بفلسفة الغيبة ولديه اليقين بوجود الإمام وكونه ناظراً على أعمالنا وسلوكنا وتعاملنا مع المجتمع والأمة فى الحياة، فإنه يكون على صلة قلبية وروحية مع الإمام؛ أى أنه يصبح ويمسى محباً، ذائباً فى إمامه وقائده الذى غيّبته الدهور عنه، فحرمته حلاوة لقائه، والتمتع برؤيته.ونحن كشيعة مؤمنين نعتبر الإمام المنتظر النموذج الأعلى لنا، ولما كان هذا الإمام مغيباً عنا كان علينا الرجوع إلى ممثّليه الشرعيين، ومن ينوب عنه فى غيبته وهم العلماء والفقهاء والمراجع العظام، نتبعهم ونقلّدهم ونعمل بوصاياهم على أساس من النيابة أو الوكالة. فالإمام مفروض الطاعة ولا جدال فى طاعته واتباعه، أما الوكيل أو النائب عنه فانه واجب الطاعة أيضاً مادام مستقيماً على خط الإمام ونهجه، وفى حالة انحرافه – لا قدّر الله – ولو بأدنى مقدار فان على الأمة أن تميل عنه إلى من هو أعدل منه، وأكثر استقامة وورعاً وتقوى.وهكذا فان الإمام الحجة عليه السلام هو المقياس لدى الشيعة، وهذه العقيدة هى التى أعطت الفكر الشيعى، وأغنته بالحيوية والاستقامة والثبات، ولذلك لم نجد فى تأريخ التشيع أن مرجعاً ما انحرف عن الطريقة بأن جبن، أو صار عميلا، أو خان دينه وأمته، ذلك لأن أبناء الأمة المؤمنة بمهديّها تراقب بكل دقة مراجعها وسيرتهم وهم يؤدون ما عليهم من التكاليف الشرعية؛ فهم لا محالة سيسقطون من أعين الجماهير أن انحرفوا عن الطريقة أدنى انحراف. فعلاقة الشيعة بمراجعهم لم تكن فى يوم من الأيام علاقة شخصية عاطفية، بل هى علاقة قيم ومبادئ، وعلاقة نيابة عن إمامهم الغائب الذى هو قدوتهم الأولى والأخيرة، ومثالهم الحقيقى.

الفوائد الحقيقية

اشاره

وبعد؛ فهذه هى المنافع الظاهرة من الغيبة وانتظار الفرج وهى ما يمكن تسميتها بالفوائد العامة، ثم هناك المنافع والفوائد الخفية التى لا يحس بها، ولا يلمسها إلا أهل الفضل والعرفان.فكثيرة هى المواقف والظروف العسيرة التى مرّ بها الشيعة أو المسلمون وربما البشرية جمعاء، والتى كادت أن تتحول إلى أهوال لشدتها، فكان الإمام الحجة بدعائه وبمنزلته عند الله سبحانه وتعالى سبباً لإنقاذها وخلاصها من تلك الأهوال والمواقف العسيرة وهذا مالا يدركه إلا أولو الأبصار من أهل العلم والعرفان.أننا جميعاً جلوس على مائدة الحجة المنتظر عجل الله فرجه؛ فممّا لا ريب فيه أنه مهيمن على كل أوضاع الأرض وأهوالها، وقد كانت له هذه الهيمنة بفضل الله وقدرته ورحمته، ولذلك ينبغى علينا الالتزام بالمفردات التالية:

تغيير السلوك

والذى أرجوه أن نعاهد الله جل جلاله منذ هذه اللحظة على أن نغيّر سلوكنا. فقد يغيب عن بالنا، أو ربما يجهل الكثير منا إن أعماله وسلوكه يطّلع عليها الإمام عليه السلام فى كل يوم وليلة كما تؤكد على هذه الحقيقة الكثير من الروايات الشريفة؛ فإن كان قد صدر منا خير وصلاح سرّه ذلك، وإن كان شراً أو إثماً اساءه وأحزنه. وإذا أردنا أن نفهم معنى هذا السرور أو الشعور بتلك الإساءة فلنرجع إلى مشاعرنا وأحاسيسنا عندما نلمس المعصية والإساءة من أولادنا، ومن ذلك ندرك أحاسيس إمامنا ومشاعره تجاهنا نحن كشيعة ندعى ولاءه وحبّه ثم نسيئه ونحزنه بمعاصينا، وانحرافاتنا وتقاعسنا وتبريراتنا.فليكن سلوكنا سلوك المنتظرين الحقيقيين له عليه السلام، ولنتمثل حقيقة الانتظار فنصلح نفوسنا وأخلاقنا وسلوكياتنا وتعاملنا مع إخواننا الآخرين، ونجعلها بالشكل الذى يتطابق مع روح الانتظار.

الاستعداد النفسى و الجسمى

لنكن مستعدّين نفسياً وجسمياً على الدوام، ذلك لان ظهور الإمام –كما بيّنا– لا يعرف أوانه، ومن ذلك نفهم السرّ فى أن بعض

العلماء والمراجع یجعلون سیوفهم تحت وسادتهم کی یکونوا مستعدین فی أیة لحظة عندما یظهر الموعود، فما السیف إلا- رمز للاستعداد الجسدی.وبناء علی ذلک ینبغی أن یکون لدینا استعداد قتالی هو من الضرورات بالنسبة إلی الشیعة، فیجب علی الشیعی أن یکون مهیئاً مدرباً نشطاً مستعداً للتضحیة علی طول الخط، بالإضافة إلی الاستعداد الأخلاقی، والتزکیة النفسیة, فالحجة المنتظر إنما یرید أناساً طاهرین مخلصین، وهذا ما یجب أن نبنیه فی أنفسنا، ونخلقه فی اطباعنا وأخلاقنا.

التبشیر بالإمام

أی أن نعمل منذ الآن علی التبشیر بالإمام علیه السلام، وبیان حقیقة الانتظار وفلسفتها، ولنعلّم أطفالنا ونعرّفهم بالمهدی علیه السلام وغیبته وفوائد هذه الغیبة حسب ما تستوعبه مدارکهم؛ أی أن نبسّط المفاهیم ونقرّبها إلی أذهانهم کی یعوا هذه العقیدة، ویترعرعوا فی ظلّها شیئاً فشیئاً؛ فلعل أوان الظهور یکون من نصیبهم، وزمانهم.وکل ذلک - کما أوضحنا- یکمن فی فهمنا واتباعاً لأمرین أساسیین هما:۱- دعاؤنا بتعجیل ظهور الإمام علیه السلام.۲- استیعاب حقیقة الإمام علیه السلام وفلسفة الانتظار.واستیعاب هذین الأمرین ربما یکفی لوحده لأن یغیر أوضاع المسلمین، ویجعلهم أکثر التصاقاً بأئمتهم، والقیم التی عملوا وجاهدوا من أجلها، وأکثر إتباعاً لمناهجهم، وتقفّی آثار العلماء والمراجع اللذین ینوبون عنهم، وبذلک یصبح المسلمون قوة منیعة کالبنیان المرصوص.

المفهوم الحقیقی لانتظار الإمام المهدی

لأنّ رحمة الله سبقت غضبه، ولأنها وسعت کل شیء، ولأن الله سبحانه وتعالی خلق الإنسان لیرحمه لا لیعذبه، فقد جعل عاقبة هذه الحیاة الحسنی، وقضی أن یختمها بأفضل یوم وأحسن عهد، وذلک حین ظهور الإمام الحجة بن الحسن المنتظر عجل الله فرجه.ولقد اخبرنا الله عز وجل فی آیات عدیدة بهذه الحقیقة الثابتة، ومن ضمنها قوله تعالی: «هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَی وَدِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَلَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ»

علاقتنا بالإمام المنتظر

ولاریب أن هذه الحقیقة لم تقع بعد، وأن الإنسانیة ما تزال تنتظر ذلک الیوم الأغرّ الذی یرفرف فیه لواء العدل والحق فوق أرجاء العالم أجمع، ولکن کیف یتحقق هذا الهدف، وما هی مسؤولیة الإنسان اتجاهه، وما هی علاقته أساساً بهذا المنقذ المنجی الذی سیظهر الله تعالی به دینه علی الدین کلّه، وبتعبیر آخر؛ ما هی العلاقة التی یجب أن نقیمها ونحن نعیش عصر الغیبة بسیّدنا ومولانا الإمام المهدی علیه السلام؟؟وللإجابة علی هذه الأسئلة لابد أن نقول أن القرآن یفسّر بعضه بعضاً؛ فالله عز وجل یقول بعد الآیة السابقة: «یَآ أَیُّهَا الَّذِینَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّکُمْ عَلَی تِجَارَةٍ تُنجِیکُم مِنْ عَذَابٍ أَلِیمٍ»، فهذه الآیة توحی لنا بحقیقتین مهمتین:

الظهور یتحقق علی أیدی المؤمنین المجاهدین

۱- ان تحقیق هذا الهدف یتم علی ید أولئک المؤمنین الذین قرروا أن یکونوا مجاهدین حقاً، وان یعقدوا صفقة تجاریة رابحة مع ربهم، یجاهدون من خلالها بأنفسهم وأموالهم لینجیهم الرب من العذاب الألیم، ولینالوا رضوانه.وعلی هذا فلیس من الصحیح الاعتقاد بان مسائل غیبیة لابد أن تتدخل لتغییر مسار الحیاة. فالله تعالی یقول: «هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَی وَدِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَلَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ» ثم یقول بعد ذلک مباشرة: «یَآ أَیُّهَا الَّذِینَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّکُمْ عَلَی تِجَارَةٍ تُنجِیکُم مِنْ عَذَابٍ أَلِیم».ثم یستمر السیاق الکریم لیبیّن ماهیّة هذه التجارة، فی قوله تعالی: «تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِکُمْ وَأَنفُسِکُمْ...». فالقضیة -إذن- تتعلق بالإنسان، فهو الذی یجب أن یحمل رایة الجهاد، ویضحّی بماله، ونفسه. لیحصل بذلک علی الجنّة، وینجی نفسه من

النار حتی تتحقق إرادة الله فی إظهار دینه علی الدین کله.

الجهاد علی نوعین

۲- الجهاد فی سبیل الله علی نوعین؛ نوع یأتی من خلال فورة عاطفیة مرحلیة، فیبادر الناس إلی حمل الرایات وینادی المنادون بالجهاد بسبب تأثرهم بالأجواء المحیطة بهم، فیندفعون إلی ساحة المواجهة.وهناک نوع آخر من الجهاد هو الذی یحقق المسیرة الحضاریة، ویجعل الإنسان یصل إلی الهدف الأسمی من خلق الکون، ألا وهو إظهار الدین علی الأرض کلّها. وتحقیق هذا الهدف الأسمی، وهو غلبة الدین الإلهی علی کل الأفکار والمبادئ الوضعیة فهو یتطلب فئة باعت نفسها لله عز وجل، ودخلت فی صفقة تجاریة معه لا تراجع عنها سواء کانت هناک رایات ترفع للجهاد أم لم تکن، وسواء کانت هناک أجواء تحرّض علی الجهاد أم لم تکن.

الجهاد طبیعة المؤمنین

اشاره

أن مثل هؤلاء المؤمنین یتمتعون بطبیعة جهادیة، فنراهم یبحثون عن الجهاد فی کل أفق سواء کانت الظروف مواتیة أم لا، لأنهم یعتبرون الجهاد الجسر الأقرب إلی الجنة، والطریق الأقصر لرضوان الله، والسبیل الأفضل للنجاة من النار، ومن الذنوب المتراکمة علی النفس.فکل إنسان لابد أن یرد نار جهنم، فنحن واقعون فیها شئنا أم أبینا، وهذا ما أکدت علیه مصادر التشریع الإسلامی کقوله تعالی: «وَإِن مِّنکُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا کَانَ عَلَی رَبِّکَ حَتْماً مَقْضِیّاً ، ثُمَّ نُنَجِّی الَّذِینَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِینَ فِیهَا جِثِیّاً» (مریم/۷۱-۷۲)

النجاة من النار هدف المؤمنین الأعلی

وعلی هذا فإن الهدف الأسمی، والتطلع المهم للإنسان المؤمن یتمثلان فی النجاة من النار. وهکذا الحال بالنسبة إلی المجاهدین فهم یسعون لتحقیق هذا الهدف، ولکن بطریق اقصر، وقول الله تعالی: «یَآ أَیُّهَا الَّذِینَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّکُمْ» یدّل علی ذلک، لأن الخطاب موجّه إلی المؤمنین لا إلی المسلمین أو عامّة الناس، ولأن الحدیث موجّه إلی المؤمنین فقد أصبح یمتلک مستوی رفیعاً یتمثل فی مخاطبة الإنسان الذی یبحث عن النجاة. أما الإنسان الذی لا یعرف معنی لجهنم، ولا یؤمن بالآخرة، ولا یفکر فی الخلاص من نار جهنم، فالحدیث لا یمسه بشیء.وهنا قد یتبادر إلی الذهن أن الحدیث موجّه إلی المؤمنین، فلماذا یؤکد النداء الإلهی مرة أخری علی قضیة الإیمان؟ وللجواب علی هذا السؤال نقول: أن هذا التأکید ربما یکون توجیهاً إلی الدرجات العلی من الإیمان.

ما یأخذه الإنسان المؤمن

أن کلّ ما ذکر فی الآیة السابقة کان متعلّقاً بما یعطیه الإنسانالمؤمن، إما بالنسبة إلی ما یأخذه فهو ما یبیّنه الله جل وعلا فی القسم الثانی من الآیة الکریمة، والذی نذکره من خلال النقاط التالیة:۱- غفران الذنوب «یَغْفِرْ لَکُمْ ذُنُوبَکُمْ»؛ وهو أهم هدف یسعی المؤمنون لتحقیقه، ذلک لأننا جمیعاً مذنبون فی حق أنفسنا، ولو غفلنا عن هذه الذنوب فإن عقاب الله لا یضل ولا ینسی، ولا یغادر صغیرة ولا کبیرة إلا أحصاها، وباعتبار أننا جمیعاً مذنبون، فلابد أن نبحث عن طریقة للنجاة تتمثل فی الجهاد من النوع الثانی -کما أشرنا إلیه- والذی یقضی ان یکون الإنسان مجنداً لله، ومتطوعاً ومخلصاً فی سبیله.۲- دخول الجنة؛ «وَیُدْخِلْکُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاکِنَ طَیِّبَةً فِی جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ».والقرآن الکریم یقرر أن الإنسان لیس بإمکانه إدراک معنی الجنات، ولکنها -باختصار- هی الفوز العظیم، فهی لیست بساتین عادیة، أو سقوفاً من فضة، وبیوتاً من ذهب، لأن جمیع هذه المظاهر أمور بسیطة لا

أهميـة لها، والمهم فى كل ذلك أنها الفوز العظيم الذى يحققه الإنسان متمثلاً فى نيل رضوان الله.۳- النصر المـؤزر «وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيب»؛ وهـذه من النتائج المهمـة التى يبـذل الإنسـان المؤمن جهوده من أجـل تحقيقهـا، حيث يشـرع فى الجهاد، ويصمم على مقارعة أعداء الله.

الجهاد فى كل الظروف و الأحوال

ثم يسـتمر السـياق القرآنى الكريم ليؤكـد على صـفة الإخلاـص المطلق لله عز وجـل، ونصـرة الحق، حيث يقول تعـالى: «يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ»؛ أى على الإنسان المؤمن أن يكون جنـدياً فى جيش الحق، متطوّعاً فى جنـد الله، متفرغاً فى سبيله، وبالتالى أن يكون إنساناً يبحث عن كل ما يمتّ إلى الجهاد بالصلة، وعن أى مظلوم أو حق سليب أو أمة مستضعفة يدافع عنها.

الحواريون قدوة المؤمنين

وللإنسان المؤمن فى هذا المجال أسوة حسـنة بالحواريين الذين قال عنهم الله تعالى: «كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِى إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ اَنصَارُ اللَّهِ».فالحواريون - كما يبـدو من هـذه الآيـة - تقدموا مرحلة مهمة، فعيسى عليه السـلام أمرهـم أن يكونوا أنصار إلى الله، ولكنهم تقـدموا مرحلـة وقالوا: نحن أنصار الله؛ أى أننا سـلكنا هذا الطريق، ومضـينا فيه إلى درجة بحيث وصـلنا إلى النتيجـة، فأصـبحنا أنصار الله جلّت قـدرته، ولذلك قال تعالى فى بداية الآية: «كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ».يسـتأنف السـياق القرآنى الكريم مُبّيناً لنا معنى (أنصار الله) قائلًا: «قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ اَنصَارُ اللَّه فَآمَنَت طَآئِفَةٌ مِنْ بَنِى إِسْرَآئِيلَ وَكَفَرَت طَآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ»ونحـن لو تـدبرنا فى كلمـة (ظاهرين) وربطناها مع العبارة السابقـة (ليظهره على الـدين كله) لاسـتنتجنا أن أنصار الله الحقيقيون هم الـذين يمكن ان نضـرب بهم مثلاً من واقع الحواريين الملتفّين حول عيسـى بن مريم عليه السـلام، وهؤلاء هم الـذين سـيظهر الله تعـالى بهم دينه فوق هـذا الكوكب. ثم انّ هـذه الآيـة تجيبنـا على سؤال سـبق وأن طرحنـاه آنفاً وهو: ما هى علاقتنا بالإمام الحجة عجل الله فرجه.

الامام الحجة شمس مغيَّبة

أن الأحـاديث والروايات تبين أن الإمام المنتظر هو كالشـمس المغيّبـة وراء السـحب، فهى ترسل أشـعتها، ولكن الإنسان لا يسـتطيع أن يراهـا، ولاـ يعرف فى أى منطقـة مـن هـذه السـماء الواسـعة هى موجـودة، فهى تبـث الخير والبركـة إلى الأـرض ولكـن مـن مـوقع مجهول.وهكـذا الحال بالنسـبة إلى الإمام الحجـة عجل الله فرجه، فهو موجود بيننا إلى درجـة أنه عنـدما يظهر فأن الجميع سيشـعر أنهم رأوه فى أماكن مختلفـة، كما أشارت إلى ذلك الأحاديث الواردة فى هـذا الصـدد، ولـذلك فإن على الإنسان المؤمن أن يكون مؤدباً وملتزماً بالأحكام الإسـلامية وخاصـة فى مجلس الـدعاء والعزاء والعلم وفى البقع والأماكن المقدسة، لأن الإمام المنتظر عجل الله فرجه قد يكون من بين الحاضـرين.ولذلك فإن من أهم ما يشعر به الإنسان المؤمن فيما يرتبط بعلاقته بالإمام الحجة عجل الله فرجه هو تأدّبه وتهـذيبه لنفسه، لأنه يعلم أن الإمام المهـدى الـذى هو إمامه، وشـفيع ذنوبه، وقائـده إلى الجنـة فى الآخرة، تعرض عليه كل يوم أعمال المؤمنين جميعـاً، فـإذا وجـد إنسانـاً من شـيعته يـذكر الله تعالى باسـتمرار، ويفعل الخير، ويسـعى إلى الصالحات، فأنه يستبشـر، ويغمره الفرح، ويدعو له، أما إذا وجد أن صحيفته سوداء فانه يحزن ويتأثر.

جوانب علاقتنا بالإمام

وعلى هـذا فان علاقتنا بالإمام الحجـة عجل الله فرجه لها عـدة جوانب:۱- تهـذيب الإنسان المؤمن لنفسه، واهتمامه باعماله وتصـرفاته،

وخصوصاً بالنسبة إلی من تطوّع فی سبیل الله من العلماء والخطباء والمجاهدین، لأن علاقة هؤلاء بالإمام أکثر متانة من علاقة غیرهم به، فهم بمثابة ضباط فی جیشه، فإن قدّر لهم الخروج فی عهده، فلابد أن یراقبوا أنفسهم اشد المراقبة.۲- الانتظار الذی یعطی معنی (الإنذار)؛ بان یکون الجیش فی حالة الإنذار القصوی، وإذا کان کذلک فهذا یعنی أن یکون سلاحه وعتاده وصفوفه وتنظیماته فی مستوی التحدی والانطلاق للعمل فی أیة لحظة، وهذا هو ما یعنیه (الانتظار).وقد لا یکون الجیش الذی وضع تحت الإنذار الشدید محباً للقاء عدوه، فتری کل فرد منه یوجس خیفة من قدوم الأعداء، فی حین أن المؤمنین الذین یعیشون تحت أعلی درجة للإنذار یحدو بهم الشوق دائماً إلی لقاء الإمام، وکلما أصبح علیهم یوم جدید سألوا الله عز وجل أن یکون هو موعد ظهور الإمام الحجة علیه السلام.ولذلک فانهم مستعدون فی کل لحظة لسلوک الطریق، وقد جاء فی تاریخ علمائنا الذین عاشوا أیام السیوف والرماح أنهم کانوا یهیؤون لأنفسهم سیوفاً یتدربون علیها کل یوم جمعة بعیداً عن أعین السلطات استعداداً لظهور إمامهم، وإبقاءً منهم علی الدرجة العالیة من التدریب والاستعداد.وهذا هو المفهوم الحقیقی للانتظار، فهو لا- یعنی الجمود، وان نجلس مکتوفی الأیدی، أو أن ننتظر حتی ظهور الإمام المهدی عجل الله فرجه، ثم نتدرب علی السلاح وننظم صفوفنا فهذا تصور خاطئ لا یرضی به الشرع ولا العقل، فقد قال الله جل وعلا- فی بدایة السورة التی استعرضنا بعضاً من آیاتها: «إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الَّذِینَ یُقَاتِلُونَ فِی سَبِیلِهِ صَفّاً کَأَنَّهُم بُنْیَانٌ مَرْصُوصٌ».فلابد -إذن- من أن نبادر إلی العمل من الآن استعداداً لظهور الإمام المنتظر عجل الله فرجه، ولذلک فان علی کل إنسان مؤمن إن یجدد عهده مع الإمام فی کل یوم عبر الأدعیة والزیارات المأثورة.۳ - طاعة من أمر الإمام بطاعته؛ فالجندی فی المعرکة لا-ینتظر القائد الأعلی لیأتیه ویخبره بالأوامر والواجبات ولکن عبر مراتب القیادة، ونحن باعتبارنا نعیش فی أیام الانتظار فان علینا أن نطیع من أمر الله تعالی والإمام بطاعتهم، متمثلین فی الفقهاء العدول الذین هم نوّاب الإمام عجل الله فرجه.

کیف ننتظر الإمام المهدی؟

سنن الله تعالی تجری فی الأولین کما جرت فی الآخرین، وهی سنن واحدة لا تجد لها تحویلاً ولا تبدیلًا، وفی القصص التی حدثت فی تأریخ البشریة إشارات وأمثلة علی ما سیجری فی مستقبلها، والمستقبل الذی سوف تتجلی فیه سنن الله بصورة کاملة وشاملة هو المراد من خلق الإنسان.

المهدی خاتم الأوصیاء

وإذا کان آخر الأنبیاء، وخاتم المرسلین هو نبینا الأعظم محمد صلی الله علیه وآله الذی ختمت به رسالات الله، فإن خاتم الأوصیاء هو الآخر سوف تختصر فیه غایات الرسالات الإلهیة، لأن الله عز وجل خلق الکون علی سنّة التکامل والتسامی. فالأنبیاء السابقون – مثلًا- لم یؤمن بهم إلا نزر یسیر، وقلما وجد هؤلاء الأنبیاء انتصاراً فی حیاتهم کما انتصر الله لرسالته الخاتمة علی ید رسولنا الأعظم صلی الله علیه وآله.وإذا کان فتح الله الذی تجلی علی ید النبی صلی الله علیه وآله أعظم فتح، فإن هذا یعنی أن الرسالة سوف تتجلی فی أفضل صورها، وأروع معانیها، وأصدق حقائقها علی ید خاتم الأوصیاء سیدنا وإمامنا المنتظر عجل الله فرجه. وهذه الرحلة الشاقة للبشریة لابد أن تنتهی بیوم النصر، وهذه هی إرادة الله تعالی، فالخلق هو خلقه، والمملکة مملکته، والأرض قبضته، ولأن هذه الدنیا إنما خلقت لیرحم الله فیها العباد.

الرحمة الإلهیة تقتضی الظهور

ولأن الخالق عز وجل هو أرحم الراحمین، فلابد أن ینتهی الظلام، ولابد أن ینجلی اللیل عن نهار مشرق، ولا مناص من أن ترسو سفینة البشریة علی شاطئ السلام والأمن والرحمة، لأنه تعالی إنما خلق الخلق لیشملهم برحمته ومن المستحیل لمن یعرف رب العباد، ویعرف

أسماءه الحسنى أن يعتقد أن هذه الدنيا وما فيها هى مراد الله، والهدف الذى خلق الكون من أجله. فحاشى لـه عز وجل أن يخلق البشر ليكونوا ألعوبة بيد الطغاة، ويرسفوا تحت نير الظالمين، وليكونوا تحت سحابة قاتمة من الفقر والمرض والحروب الطاحنة.فلو فرضنا أن الله تعالى ترك هذه البشرية على ما هى عليه، فما هى - إذن- حكمة بعثة الأنبياء عليهم السلام، وما هى حكمة الكتب والرسالات إذا كان عز وجل يريد للبشرية أن تنتهى إلى ما انتهت إليه الآن؟وبناءً على ذلك لابد أن تكون لرب العالمين حكمة، وهى أنه إنما أخر إذنه لوليه الأعظم وخاتم الأوصياء بالظهور لأن ظهوره هذا ستكون فيه غاية ونهاية وذروة التقدم البشرى، ولذلك فقد أخر هذا الظهور.

الظهور هو السعادة الحقيقية

فإن وجدنا البشرية الآن تعانى العذاب، فإن بعد هذا العذاب رحمة. وإذا عاشت البشرية التفرقة، فإن هذه التفرقة هى إرهاص للوحدة. ونحن نجد المجتمع البشرى اليوم يتقدم خطوات واسعة فى طريق التكنلوجيا، ولعل البعض يعتقد أن السعادة سوف تتحقق بهذه التكنلوجيا المتطورة فى جميع المجالات، فى حين أن هذه ليست سعادة، لأن البشر بحاجة إلى الوحى فى الغايات والأهداف والأخلاق والمثل، فهم لا يستطيعون أن يتحركوا لوحدهم.وهنا لابد أن تأتى رسالات الله عز وجل لتنقذ البشرية من هذه المحن، فالإنسان اليوم يستغل التكنلوجيا المتطورة التى توصّل إليها لضرب الأطفال، وقتل النساء، وتدمير المدن، وفى مجال آخر استطاع أن يتطور ويحصل على نتائج مدهشة فى مضمار الاقتصاد والزراعة؛ فهو اليوم بمستطاعه أن يزرع فى فدان واحد عشر مرات أكثر مما كان يزرعه سابقاً، وتلك مخازن القمح والذرة فى أميركا ممتلئة، ولكننا نجد فى نفس الوقت ثمانين مليون إنسان يعانون من الجوع، وعشرات الملايين من الأطفال يموتون سنوياً بسبب نقص التغذية وسوء الظروف الصحية.وإزاء ذلك نرى الغربيين يصرفون أكثر من خمسين مليون دولار لإحراق وإتلاف المحاصيل الزراعية الفائضة عن حاجتهم! والسبب فى ذلك ان الإنسان يعرف كيف يُغير الطبيعة ولكنه لا يعرف الهدف، ويجهل كيف يعيش كإنسان أو يتألم لآلام الآخرين.

لماذا آلت البشرية إلى هذا الوضع؟

ترى لماذا يحدث كل هذا؟إن هذا العالم لا يعرف القيم، ويعانى الأمراض فيها، كرجل كلّ أعضائه سليمة ولكنه لا يملك العقل. فالإنسان فى هذا العصر يتحرك ولكنه لا يعرف وجهته، وكما روى عن الإمام على بن الحسين عليهما السلام ": ومن لم يكن عقله أكمل ما فيه كان هلاكه من أيسر ما فيه. ["۴] .إنّ هذا هو حال البشرية اليوم، فهل خلقها الله تعالى لكى تعيش هكذا؟وبناءً على ذلك فإن هذه التقنية وهذا التقدم الصناعى لا يمكن أن يعطيا الإنسان ما يريده. فهو يريد عيشة الرفاه والسعادة، وهذه السعادة مهددة اليوم بالأسلحة الفتاكة، بحيث أنه بمجرد أن يضغط الإنسان على زر واحد وإذا بالطائرات والصواريخ الحاملة للرؤوس النووية تهدم العالم كله.العلاج فى مذهب أهل البيت عليهم السلامترى هل أنّ هذا الإنسان الذى يمتلك هذه التقنية القاتلة يتمتع بقيم كافية لتحديدها؟إن التقدم الصناعى لم يعط للإنسان هذه الحقيقة، فأين -إذن- المنقذ؟لقد خلق الله عز وجل الكون ليغمره برحمته، فأين تتجلى هذه الرحمة؟ابحثوا فى ديانات الأرض كلها لتجدوا أنها كلها تبشر بيوم الخلاص، وبإقامة حكومة الله فى الأرض، ولكن ليس بتلك الصورة الواضحة والمؤكدة التى نجدها فى الإسلام، وفى مذهب أهل البيت عليهم السلام خصوصاً؛ فهذا المذهب يتميز بأنه يزود الإنسان بأفق مشرق، ويقر فى الإنسان الإيمان بحقيقة أن الله تعالى لابد أن يملأ هذه الأرض بالقسط والعدل والسلام والأمن بعد أن ملئت ظلماً وعدواناً.لقد ادخر الله عز وجل رجلاً وضعه وراء ستار الغيب، وهذا الرجل موجود ومن الممكن أن يظهر فى أية لحظة ليملأ الأرض بكل الخيرات والبركات، وليكمل عقل الإنسان، وحينئذ تتحقق سعادته، ويغدو إنساناً كاملاً لا يريد أكثر من أن يعيش مرتاحاً، لا يعتدى على إخوانه، ولا يوجد فى قلبه غل. فهذا الغلّ الذى فى قلوبنا وسوء الظن، وهذه الأخلاق السيئة هى التى تفرّقنا، ولا

تـدعنا نعیش بسـلام فالسـلام لا ـ یقتصـر فقط علی السـلام الخارجی، فهنـاک سـلام فی قلب الإنسان، والمجموعـهٔ التی لا تعیش أجواء المحبهٔ لا یمکن أن تعیش السعادهٔ، لأن النفس هی معدن السعادهٔ وموطنها.

المعنی الحقیقی للانتظار

للانتظار ثلاث معانٍ متدرجهٔ وهی

۱- انتظـار الفـرج؛ وهـو النقـطهٔ المشـرقـهٔ التی تتجلی أمـام الإنسـان، فیتحرّک نحوهـا بالانتظـار. فحرکته یجب أن تکون باتجاه نقطهٔ معینهٔ؛ أی باتجاه تلک الغایهٔ التی رسمها الله سبحانه وتعالی، وهذه الغایهٔ هی التی تحددها فکرهٔ انتظار الفرج الذی یشرق علی القلوب دائمـاً بنور الأمـل. فالإنسـان الـذی یعیش الأمـل یؤمن بـأن العاقبـهٔ للمتقین، وبالتالی فإن الله عز وجل سـیمکن للصالحین، وتکون علی أیدیهم نهایهٔ العتاهٔ المتمردین، وهذه الفکرهٔ تجعل قلبه فی راحهٔ وأمل، حتی فی أحلک الظروف؛ لأن الیأس هو أخطر مشکلهٔ یواجهها الإنسان، فهو یفقـد الحیاهٔ عنـدما ییأس، نظراً إلی أن القنوط هو الموت العاجل، والخطیئهٔ الکبری.وفی الحقیقهٔ، فإن انتظار الفرج یعالج هذه المشـکلهٔ؛ مشـکلهٔ الیأس والقنوط، والدلیل علی ذلک أن الشـیعهٔ کانوا وما یزالون هم الأکثر رفضاً للظلم والطغیان، فالمناطق التی تسـکنها الأغلبیـهٔ المؤمنهٔ بمذهب أهل البیت علیهم السـلام، الذین فی قلوبهم نور من انتظار الفرج، وشـعاع من نور الإمام الحجهٔ عجل الله فرجه نراهم هم الـذین یرفضون الظلم أکثر من غیرهم، وهم الـذین یتصـدّون للفسـاد، ویضـحّون بأنفسـهم قبل غیرهم، وعلی سبیل المثال؛ فعنـدما احتلت إسـرائیل جنوب لبنان بادر المسـلمون الشـیعهٔ فی لبنان إلی مقاومـهٔ الاحتلال کما یعرف الجمیع، وعنـدما قاوموا الاحتلال کان الشـعار الـذائع علی أفواههم (یا حجـهٔ بن الحسن، یا مهـدی)، لأن قوات الکیان الصـهیونی کانت جاءت لکی تبقی فی لبنان، وهـذا یعنی انتهاک الأعراض، وتغییر الـدین، وانتشار الفساد، فعرف الشـیعهٔ الحقیقـهٔ، لـذلک اتجهوا إلی الإمام الحجـهٔ، وحملوا السـلاح فی وجه المعتـدین، حتی حققوا انتصارهم العظیم.ونفس هذه الظاهرهٔ وجدناها لدی الشـیعهٔ فی العراق الذین قاوموا الظلم أیام الاحتلال البریطانی وقبله وحتی الیوم؛ وأذکر فی هذا المجال أن مراسـلاً فرنسیاً سألنی قائلاً: إن الشیعهٔ فی العراق أصیبوا بمشاکل أکثر من الأـکراد، وتحملوا الـدمار أکثر من غیرهم، فلمـاذا لم یقبلوا التفـاوض مع النظـام کما فعل غیرهم؟ فقلت: لأن الشـیعهٔ یمتلکون أملاً اسـمه انتظار الفرج.وفی الواقع فإن السـبب الذی یجعلنا نحارب دائماً أننا نؤمن بفکرهٔ الانتظار، ومن علامات وإشارات هذه الحقیقهٔ أن ثورهٔ العشرین قد تفجرت فی لیلهٔ الخامس عشر من شعبان، کما أن الانتفاضهٔ الأخیرهٔ ضد النظام الصدامی حدثت هی الأخری فی هذه اللیلهٔ، ذلک لأن هذه اللیلهٔ هی لیلهٔ النور التی تذکرنا بأننا لسنا من الذین لا یمتلکون إماماً وراعیاً، بل نحن نمتلک هذا الإمام والراعی، وهو ینظر إلینا، وهذه الفکرهٔ هی التی تدفعنا إلی الامام. ولو أن الشـیعهٔ عرفوا قیمهٔ انتظار الفرج حق معرفتها، واستوعبوها حق استیعابها، لمـا بقی شـیعی واحـد مظلوماً فی الأرض، لأنهم سـیرفضون فی هـذه الحالـهٔ الظلم، وسینصـرهم الله عز وجل.۲- المعنی الثـانی لانتظار الفرج، أننـا عنـدما ننتظر هـذا الفرج نوجه نظرتنـا دائماً إلی القیادهٔ، وإلی مرکز القرار، وإلی الولایـهٔ الإلهیـهٔ، ونجعل مقیاسـنا فی ذلک الإمام الحجـهٔ عجل الله فرجه. وهـذا ما ینعکس علی قیادتنا الروحیـهٔ المتمثلـهٔ فی المرجعیـهٔ، وما یفسر سـبب کون القیادهٔ الدینیهٔ لدی الشیعهٔ هی الأزهد والأتقی والأعلم، والأقرب إلی المثل الإلهیهٔ.ونحن عندما نسـتعرض القیادات الشـیعیهٔ فی العصور الأخیرهٔ. فإننا نجد أشـخاصاً من مثـل العلامـهٔ الأنصـاری، والمیرزا حسن الشـیرازی، والشـیخ کـاظم الأخونـد والسـید الطباطبـائی صـاحب العروهٔ الوثقی، والمرحوم آیهٔ الله السـید أبو الحسن الاصفهانی، وأخیراً السید الخوئی، والسید الکلبایکانی (رضی الله تعالی عنهم أجمعین).تری کیف اکتشف الشـیعهٔ هذه النماذج، وکیف نمت هذه النماذج، حتی أصـبحت قمماً مضـیئهٔ لا نجد لها نظیراً فی العالم.السبب أنهم یمتلکون قمـهٔ أعلی هی قمهٔ الإمام الحجهٔ عجل الله فرجه، وهذه الذروهٔ السامقهٔ والمتکاملهٔ هی التی نعبّر عنهـا بـ (انتظار الفرج) لأن انتظار الفرج یجعلنا دائماً نسیر نحو القمم المضـیئهٔ، ونحلّق حتی نصل إلی الآفاق البعیدهٔ.۳- وأمـا المعنی الأعمق لانتظار الفرج، فهو أن یعیش کل

واحد منا كما يريد لـه الإمام الحجـة عجل الله فرجه أن يعيش، فكل واحـد منا يحاول أن يجد لنفسه نموذجاً يقتدى به، وهذه صفة أصيلة فى البشر، لكى يحوّل نفسه إلى صورة مصغرة لذلك النموذج الأسمى، ونحن عندما ندرك ان إمامنا الحجة المؤيد من السماء تتجسد فيه كل المثل العليا، فإننا سننتظر خروجه؛ أى نستقبله من خلال جعل أنفسنا بحيث يرضى عنا.وفى هذا المجال يؤكد أئمتنا عليهم السلام أن صحيفة أعمالنا تعرض كل يوم على الإمام المنتظر عجل الله فرجه، وأننا بحاجة إليه فى كل صغيرة وكبيرة؛ فى الدنيا، وعند سكرات الموت، وعند النزول فى القبر، وأن السؤال الأول الذى يوجّه إلينا هو عن إمامنا.ونحن عندما نسمع أن صحائف أعمالنا تعرض كل يوم عليه، فإننا سنحاول تهذيب أنفسنا أكثر فأكثر، وهذا هو المعنى الأصيل والحقيقى لانتظار الفرج، فهو يعنى أن تستقبل الإمام الحجة عجل الله فرجه بأعمالك الحسنة، وبتهذيب نفسك وتزكيتها، وتنمية المعانى الخيرة فيها.

كيف نرضى الإمام المنتظر؟

فلنبرمج لأيام حياتنا، ونضع لها خططاً للتطوير والإصلاح، فمن تساوى يوماه فهو مغبون، ولنحاول أن نرى ما هو النقص فينا، فلقد منّ الله تعالى علينا بالعيش فى بيوت مؤمنة تعوّدنا فيها على الصلاة والصيام وحضور المجالس، وهذه نعمة كبيرة، ولكن هل يكفى هذا أم أن أمامنا مدارج أخرى للتكامل يمكننا أن نرتقى من خلالها؟إن علينا تحديد نقاط الضعف فى شخصيتنا، والسعى لعلاجها، ومن ضمن نقاط الضعف التى نعانى منها؛ سوء الظن، الذى هو من أسوأ ما يبتلى به المؤمنون، وهذه فتنة لهم، وهى أسوأ الفتن، فنحن نعتقد دائماً أننا أهل الجنة وأن الآخرين مأواهم النار، فلنستغل ذكرى ميلاد الإمام الحجة عجل الله فرجه لإصلاح أنفسنا، وإزالة هذه الخصلة السيئة من أنفسنا؛ الخصلة التى نهانا الله سبحانه عنها قائلًا: «يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ»، والمؤمنون هم المخاطبون فى هذه الآية الكريمة، ثم يستأنف تعالى قائلًا: « وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً..»، وللأسف فإن هذه الصفات السلبية معشّشة فى نفوسنا، وعلينا أن نحاول ونجاهد من أجل اقتلاعها، لنعيش مؤمنين صالحين، ولنكون من المنتظرين حقاً لفرج إمام زماننا.

فى استقبال الإمام المهدى

عندما يكون الجهاد فى سبيل الله عز وجل. فإن الإنسان سوف لا يفرّق فى هذه الحالة بين أمة وأخرى، وبين شعب وآخر، وتجمّع وتجمّع ثانٍ، وقد أوضح الله سبحانه هذه البصيرة القرآنية فى الآيات التالية من سورة النساء:« وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِن لَدُنكَ نَصِيراً ، الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَآءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ، أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وءَاتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلآ أَخَّرْتَنَآ إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالاَخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلًا» (النساء/۷۵-۷۷)ونحن نجد فى الآيات السابقة التى تحدد فى مجملها أبعاد وملامح المجتمع الإسلامى الفاضل، آيتين متتاليتين تحدّثنا حول ضرورة نصرة المستضعفين أنى كانوا، وتبيّنان لنا أن المؤمنين يقاتلون فى سبيل الله، وعلى هذا فإن (سبيل الله) الذى تشير إليه الآية الثانية ليس إلا الدفاع عن حق المستضعفين الذى تشير إليه الآية الأولى.وعندما يكون الدفاع عن المستضعفين هو سبيل الله، فإن ذلك يعنى أن هذا الدفاع لا يخصّ مجتمعاً أو جماعة دون أخرى، فعندما يدافع الإنسان عن شعبه، فإن دفاعه هذا قد يكون فى سبيل الله، وقد يكون فى سبيل الطاغوت، كأن يكون فى سبيل الوطن، أو القومية والعنصرية والتكبر.وعلى سبيل المثال فإن المجتمع النازى فى المانيا قدّم أكثر من عشرة ملايين قتيل فى سبيل أحلامه العنصرية التوسعية، والمجتمع الصهيونى هو مجتمع حرب، فميزانية الحرب فيه تطغى على كل ميزانية أخرى، فكل إنسان فى هذا المجتمع يعتبر مقاتلاً فى سبيل هذا المجتمع، ولكن هل قتاله

هذا فى سبيل الله أم فى سبيل الطاغوت؟

مجرد الحرب ليس جهاداً

إن مجرد الحرب والقتـال، ومجرد خوض المعارك لا يعنيان أن العمل الـذى يقوم به الإنسان مشـروع، كما يشـير إلى ذلك تعالى فى قوله الكريم: «الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَـاتِلُونَ فِى سَبِيـلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَـاتِلُونَ فِى سَبِيـلِ الطَّاغُوتِ» (النساء/ ٧۶)؛ فهمـا معاً يخوضـان القتال، ويقدمان التضحيات، ولكن أحدهما يقاتل فى سبيل الله، والآخر فى سبيل الطاغوت.

ترى كيف نميّز القتال الحق عن الباطل؟

اشاره

الجواب: الهدف هو وسيلة التمييز، فإذا كان هذا الهدف متمثلاً فى طائفة، أو شعب، أو قوم، أو أرض معينة ...فإن هذا يعنى أن القتال قـد يكون فى سبيل الطاغوت.أما إذا كان الإنسان يدافع عن المستضـعفين مهما كانوا، وأينما كانوا، فإن الأمر سـيختلف، فهذا يعنى أن هـذا الإنسـان يحـارب من أجـل الله وفى سبيله.وفى هـذا المجـال علينـا أن نقول إن الإمـام الحجـة عجـل الله فرجه، إنما يأتى من أجل المستضـعفين فى الأرض، والذى نريد أن نبينه هنا أن وصول البشرية إلى درجة الدفاع عن المستضعفين يعنى بلوغها القمة السامقة من الوعى والنضـج الفكريين، فالإنسـان -شـاء أم أبى- لابـد أن يكون محـدداً ضـمن إطار، سواء كان إطار الأرض أم الإقليم أم أى إطار آخر، فهنـاك- على سبيل المثال- رجل يـدافع عن العراق، وآخر عن أفغانسـتان، وثالث عن لبنان ...وهؤلاء يحق لهم أن يـدافعوا عن أرضـهم.ولكن عنـدما يكون الـدفاع عن الأرض فإن هناك واقعين يـدفعان الإنسان معاً، وهما؛ دافع الإيمان، ودافع الوطنية؛ ولكن متى يصـبح الدافع دافعاً وحيداً؟الجواب: عندما يقال لك إن إنساناً مستضـعفاً فى نيكاراغوا، أو فى ناميبيا، أو فى الفلبين أو أى بلد آخر من بلـدان هـذه الأرض الشاسـعة يتعرّض اليوم للمأساة والحرمان، فتنـدفع لنصـرتـه، وفـى هـذه الحالة فقط سـيكون جهادك فى سبيل الله سبحانـه وتعالى.أما إذا انـدفعت للقتال فى سبيل أرض، أو شـعب، أو قوم، أو من اجل قضـية دون قضـية أخرى، فى حين أن القضـيتين تشتركـان فى ملاـك واحـد، ومقيـاس واحـد، فـإن قتالـك هـذا سـيكون فيه نظر؛ أى أنه سوف لا يكون خالصاً لوجه الله عز وجل.إن القرآن الكريم يقول بصـريح العبارة: «وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِن لَدُنكَ نَصِيراً» (النسـاء/٧۵).وهـذا يعنى أن هؤلاـء المستضـعفين يسـتحقون الـدفاع أيـا كانت انتماءاتهم؛ سواء كانوا ملوّنين أم بيضاً، فقراء أم أغنياء، وسواء كانوا مؤمنين مخلصـين أم لم يكونوا كـذلك، بل المهم فى هذا المجال أنهم مستضـعفون.وإذا كانت هذه الحقيقة صادقة، فإن هذا يشـير إلى إن هناك فئة سـتمهّد لظهور الإمام الحجـة عجل الله فرجه وإذا كانت هـذه الحقيقـة صادقة أيضاً، فإن الصـراع بين جبهة الحق والباطل إذا بلغ ذروته، فإن الله تعالى سيأذن لوليه بالظهور. ونريـد من بلوغ الصـراع لذروته أن يتحول إلى صـراع دولىّ وعالمىّ، وهذا يعـنى أننا نقترب بخطى حثيثة من اليوم الموعود إن شاء الله...والسبب فى ذلك أن الصراع فى العصور الماضية كان محدوداً وإقليمياً، فهو لم يمتد من أقصى الأرض إلى أقصاها، فى حين أن الصـراع الآن يشـمل العالم كله، فهذه الحروب يشترك فيها الأميريكيون، والفرنسيون، والبريطانيون، والروس بالإضافة إلى من يدور فى فلكهم، وفى جهة أخرى نجد أن المسـلم العراقى والإيرانى والأفغانى وسائر المسـلمين فى العالم يقفون فى جبهـة واحـدة ضـد جبهـة الجاهليـة، وهـذا يعنى أن الحق والباطل أصـبحا يمثلان جبهتين عالميتين غير محـدودتين بحـدود إقليميـة أو عنصرية وما إلى ذلك.

الصراع بين الإيمان و الجاهلية يبلغ أوجه

إن الإنسان المؤمن یقاتل فی سبیل الله؛ فالصراع أصبح صراعاً من جانب المؤمنین فی سبیل الله دون إعارة أیة أهمیة إلی الاعتبارات الأخری، ومن جهة أخری فإن الجاهلیة عبّأت الیوم طاقاتها من أجل الإبقاء علی الطاغوت أیّاً کان، وهذه میزة أخری لا تتحقق إلا قبیل ظهور الإمام المنتظر عجل الله فرجه؛ فالأرض قد ملئت ظلماً وجوراً، وهذه الأرض یجب أن تملأ بحول الله وقوته بالقسط والعدل والسلام من قبل ولیّ الله الأعظم، وهذه حقیقة ثابتة لابد أن تتحقق.وهکذا؛ فإن الحرب الیوم أصبحت علی جبهتین واسعتین؛ جبهة الحق، وجبهة الباطل. وبعبارة أخری؛ صراع بین المؤمنین المجاهدین فی سبیل الله والمستضعفین، وبین الکفار المقاتلین فی سبیل الطاغوت.فالذین آمنوا یقاتلون فی سبیل الله جلّ وعلا، وبتعبیر آخر؛ من أجل القیم، لا من أجل أرض، أو ذات، أو أیّة قیمة مادیة أخری، بل من أجل الإنسان المستضعف أنی کان.وهناک فی المقابل جبهة الجاهلیّة التی تحارب من أجل الطاغوت. وقد دخلنا الآن مرحلة جدیدة. فلو أردنا أن نقرّب ظهور الإمام الحجة عجل الله فرجه فعلینا أن نعمل من أجل إنقاذ البشریة من هذه الحروب، والویلات والمآسی، ولابد أن نصبح جنوداً وعاملین مخلصین فی جبهة ولیّ الأمر.ونحن الآن علینا أن نسجل أسماءنا فی قائمة أصحاب وأنصار وجنود الإمام المهدی عجل الله فرجه، وذلک من خلال تغییر الذات، والتجرد من الأنانیات، والتحوّل إلی إنسان یعمل فی سبیل الله سبحانه، ویقاتل من أجله فی أیة أرض، ومن أجل أی إنسان مستضعف.إن المسافة بیننا وبین ما نرید أن نصل إلیه طویلة وشاسعة، ونحن نحتاج من أجل تحقیق أهدافنا إلی العمل الجاد الدؤوب، والاجتهاد والحیویة، وتزکیة أنفسنا، وطرد الأطر الضیقة منها، وأن نجاهد من أجل ان نجعل نوایانا فی جهادنا خالصة بشکل کامل لوجه الله الکریم.. ومن خلال هذه الخطوات الضروریة سنستطیع حینئذ أن نمهّد لظهور الإمام المنتظر عجل الله فرجه، ونکون من جنوده.

الولایة و الایمان بالغیب

مرتکزات الولایة الإلهیة

«مَا کَانَ لِبَشَرٍ أَن یُؤْتِیَهُ اللَّهُ الْکِتَابَ وَالْحُکْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ یَقُولَ لِلنَّاسِ کُونُوا عِبَاداً لِی مِن دُونِ اللّهِ وَلَکِن کُونُوا رَبَّانِیِّینَ بِمَا کُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْکِتَابَ وَبِمَا کُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ، وَلاَ یَأْمُرَکُم أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلاَئِکَةَ وَالنَّبِیِّینَ أَرْبَاباً أَیَأْمُرُکُمْ بالْکُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُم مُسْلِمُونَ ، وإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِیثَاقَ النَّبِیِّینَ لَمَآ ءَاتَیْتُکُم مِن کِتَابٍ وَحِکْمَةٍ ثُمَّ جَآءَکُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَکُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَی ذَلِکُمْ إِصْرِی قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَاْ مَعَکُم مِنَ الشَّاهِدِینَ ، فَمَن تَوَلَّی بَعْدَ ذَلِکَ فَأُوْلَئِکَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ، أَفَغَیْرَ دِینِ اللّهِ یَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِی السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَکَرْهاً وَإِلَیْهِ یُرْجَعُونَ» (آل عمران/۷۹-۸۳)لیس من شک أن دین الله دین شامل وعام، فهو لا یختص بظرف زمانی أو مکانی، تماماً کما هو الحال بالنسبة لنعم الله وبرکاته علی عباده. وعلیه فإن دین الله لا یرتبط بالنظام السیاسی الحاکم بأی وجه من الوجوه، حتی وإن کان هذا النظام السیاسی غیر منبثق عن الدین، فالإنسان مکلّف بأداء تعالیم الدین فی مختلف الظروف والأحوال حسب الوسع والإمکان.وهذه الحقیقة لا تعنی افتقار الدین الی نظام سیاسی، بل العکس هو الصحیح تماماً، إذ أن أعظم ما فی الدین نظامه السیاسی الذی شرّعه للبشریة، هذا النظام الذی یأخذ من الولایة الإلهیة التی أنزلها الله وحدّدها قبل ان یخلق الخلق، معتمداً ومتّکأ.فالله تبارک وتعالی جعل فی الأرض خلیفة، ثم خلق الناس؛ الناس الذین خلقهم فی عالم النسل والذریة، فهؤلاء لم یخلقهم إلا بعد أن عین لهم خلیفة، وهو صفوة الله أبونا آدم علیه السلام. وقد بعث الله مائة وأربعة وعشرین الف نبی ورسول وأرفدهم بالأسباط والأئمة لیکونوا خلفاء وأئمة مطاعین بإذن الله، ولا یوجد أکثر صراحة من الآیة القرآنیة الکریمة فی هذا المجال، حیث تقول: «وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلاَّ لِیُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ».وهکذا فإنّ ما من رسول أو نبی بعثه الله إلا وکان یحمل مشروعاً سیاسیاً للمجتمع الإنسانی. والناس بین هذا وذاک مخیّرون فی الاهتداء والاقتداء بقیادة السماء المنتخبة لهم أو عدم الاهتداء والاقتداء. فکانت لله الحجّة البالغة علی الذین أعرضوا عن الإیمان بهذه الحقیقة الواضحة وضوح الشمس.فلقد ختم الله رسالات الأنبیاء برسالة نبینا محمد صلی الله علیه

وآله وسلم، فكان خاتم الأنبياء والمرسلين، كما ختم مهمة الأوصياء والأئمة بإمامة الحجة بن الحسن المهدى الموعود عجل الله فرجه الشريف، الذى جعله للناس كما الشمس فى رابعة النهار، فإن حجبت الغيوم الداكنة ضوء الشمس، فلا يعنى انعدام الشمس، فهى تبقى قائمة بوظائفها وباعثة لأشعتها. ومن يغلق دون أشعة الشمس نوافذ بيته، فلا يحرم إلاّ نفسه من الاستفادة منها. ومثل الإمام الحجة المنتظر مثل القرآن، تضىء بصائره العقول، وتعالج مناهجه وتعاليمه المشاكل والأزمات.. غير أن أكثر الناس يحجمون عن الاستفادة منه.فهل – بعد كل ذلك– تكون الحجة للناس على الله، أم لله الحجة عليهم؟بالتأكيد كانت وتكون الحجة البالغة لله على الناس. فلقد أنزل القرآن الذى ان تمسكت البشرية بمعانيه ومناهجه لسقيت ماءً غدقا. وكذلك واقع حجة الله فى أرضه الإمام المهدى المنتظر، فهو عدل القرآن، وهو القرآن الناطق دون أدنى شك.

ركائز النظام السياسى فى الإسلام

بادئ بدء أقول: أنّ التعابير والألفاظ قد تعددت فى إطار النظام السياسى فى الإسلام، فتارة يسمى بولاية الفقيه أو الإمامة أو القيادة الإسلامية والدينية، وقد يسمى بولاية الله، وتعابير أخرى لا تغير من المعنى شيئاً.إنّ الركيزة الأولى لهذا النظام، هو عدم العلاقة بين الإيمان بوجود القيادة الإلهية للأمة وبين الإيمان بغيبة الإمام المهدى الموعود.فالإيمان بوجود الإمام مرتبط بصورة مباشرة بأصل الدين وفلسفته وحكمته؛ أى أن الإيمان بالنظام السياسى الإسلامى يعنى الإيمان بوجود إمام مشرف، إشرافاً مباشراً على المسيرة البشرية. إذن؛ فوجود الإمام أوسع من أن يكون مشاهداً أو غائباً عن الأنظار.ونحن لم نصور الإيمان بالنظام الإسلامى، والإيمان بوجود الإمام بصورة واحدة، إلاّ لأننا تصفحنا الآيات القرآنية فوجدنا فيها قوله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون» فعرفنا عبر هذه الآية حقائق عدة، منها:۱ – أن وجود الخلقة والخليقة قائم على أساس الطاعة.۲ – أنّ مستوى العبادة تتفاوت درجاته بحسب تفاوت درجة العابدين.۳ – أنّ وجود غير العابدين من الجن والإنس يعتبر خطوة عاصية على طريق تغيير حكمة الله فى عملية الخلق، وهذا ما يجعل الحجة البالغة لله على غير العابدين.۴ – بما أنّ درجة العبادة فى تفاوت مستمر، فإنّ العابد الأصدق من شأنه أن يكون الأكثر قرباً الى الله تعالى، وبالتالى فإن الأعبد من بين الناس يأخذ الحصة الأكبر فى حكمة الله فى خلقته للمخلوقات، وأنه –الأعبد– كان سبباً لان يخلق الله الخلق من أجله.۵ – أنّ الأنبياء والرسل هم أعبد الناس، وأن نبينا محمد وآله من بعده صلوات الله عليهم أجمعين هم أعبد الصفوة من بين عباد الله. وبالتالى فإن أساس الخلقة قام على أساس وجودومنزلة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.۶ – أن أولئك الذين يختصمون فى مصداقية إمامة الحجة المنتظر ووجوده وغيبته سلام الله عليه، بعيدون عن معرفة حكمة الوجود ولماذا خلق الله سبحانه الكون، إلاّ الذين أبصروا حقائق الدين وقالوا بأنّ إمامة أهل البيت ووجود الإمام الغائب تمثل التعبير الأصدق لمقولة وجود النظام السياسى الإسلامى وولاية الله..ومن هذا المنطلق الذى أكدته آيات القرآن والأحاديث والروايات الشريفة نتساءل عن أنّه هل من المعقول أن يخلق الله الخلق من أجل مجموعة من الأشخاص – وهو النبى وأوصياؤه من بعده– ثم يعمد الله أن يخلى الأرض منهم، حيث تبقى الدنيا دون أن تبقى الحكمة من خلقها؛ الحكمة التى تعنى وجود النبى أو من ينوب عنه بالنص المباشر؟بالتأكيد ليس من المعقول أبداً أن يحدث كلّ هذا. ولكنّ الذين فى قلوبهم زيغ، والتابعون لما تشاء أهواؤهم، ومريدو الفتن والتأويل غير الصادق، إنّما أصلهم الله على علم، وأصبح مثلهم بين الناس كمثل الغنى الذى مات فقراً وجوعاً.إذن؛ فهى نقمة كبرى أن يؤمن الإنسان ثم يكفر فيطبع الله على قلبه فلا يكون ممّن يفقه قيلاً.

تسلسل نظام الولاية

لقد خُلق الإنسان مدنياً بطبعه؛ أى أنّه يميل تلقائياً إلى أقرانه، ولا يمكن أن ينتظم هذا الميل دون وجود نظام وحكم يأخذان بيد هذا الإنسان المدنى إلى مدارج الرقى والتقدم، ولا يمكن أن يؤدى هذا النظام وهذا الحكم وظيفته بالصورة المطلوبة والمرجّوة دون أن

یکون رمز هـذا الحکم إنسانـاً صالحاً وأصـلحاً من بین أقرانه، ولا یکون الإنسان أصـلحاً ما لم یکن أقرباً إلی خالقه، وکیف یحکم من یحکم وهو لمّا یولد بعد؟!ولقد أجمع المسـلمون علی وجود اثنی عشر خلیفهٔ لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، ولکنهم اختلفوا فی الرأی علی اسمائهم، فرأی الشیعهٔ أنهم علی بن ابی طالب والحسن والحسین وتسعهٔ من ذریهٔ الحسین علیهم الصلاهٔ والسلام، ورأی غیر الشیعهٔ أنّ خلافهٔ رسول الله تختص بمن بایعهم الناس وانتخبوهم من قبل، ولکنهم أجمعوا أیضاً علی أنّ الإمام المهدی سیظهر فی عهد من العهود لیملأـ الأـرض عـدلاً کمـا ملئت بالجور من قبل، ولکنهم اختلفوا أیضاً بخصوص تحقق ولادته، فقالت الامامیـهٔ بأنّه قـد ولد بالفعـل، وقـال غیرهم انّه لمّـا یولـد بعـد، وإنه من أولاـد الرسول کما قالت الشـیعهٔ بهـذا الخصوص.أقول: إننا وبالاسـتناد الی الروایات المؤکدهٔ الصادرهٔ عن النبی والأئمهٔ من بعده، فإنّ الإمام الثانی عشر قد ولد فعلًا، وإنّه قد اضطرّ الی الغیبهٔ القسریهٔ مرّتین، وإنّه قد أناب عنه فی غیبته الأولی أربعـهً من الوکلاء، إلا أنه أطلق الأمر فی غیبته الکبری الی العلماء بالـدین المطیعین لمولاهم المخالفین لأهوائهم، لقیـادهٔ النـاس باعتبارهم وکلاءه العامّین فی إفتاء الناس وقیادتهم نحو ما یریـد الله لهم من خیر وینهاهم عنه من شـر.ومن هنا، کان لابد من التأکیـد علی عدم إمکان الفصل بین الولایهٔ الإلهیهٔ والقیادهٔ الدینیهٔ، وهکذا کان جمیع الناس مدعوّین الی البحث عن قائد یتبعونه، وهذا ما یمکن تسمیته بالنظـام المرجعی، حیث یسعی کلّ إنسان بالغ غیر مجتهد فی الأحکـام الی تقلید مرجع من المراجع، وهذا الأمر یعود الی قناعـهٔ الإنســان.ولعـل القضـیهٔ الجـدیرهٔ بالاهتمـام البـالغ أنّ مراجعنـا العظـام کـان کلّ منهم – وفی خضم التطور الاجتماعی ومتطلبات الحیاهٔ- یفتی الناس ویقودهم تحت مظلّهٔ الولایـهٔ الإلهیـهٔ، وهـذا ما یظهر جلیاً للقارئ الفطن فی کتبهم وتعابیرهم الدقیقهٔ، لا سیما فی باب القضاء منها، حیث یحددون وظائف الإمام باعتباره القائد المسؤول عن شؤون الناس.

بین الشوری و الدیمقراطیهٔ

یعتبر مبدأ الشوری فی الإسـلام أصـلًا أصـیلًا فی النظام الدینی، فإذا کنا فیما مضی من الزمان نختار أئمتنا المراجع عن طریق الانتخاب العفوی، فإنّ عصـرنا الراهن یؤکد الحاجهٔ الماسهٔ إلی اسـتبدال تلکم الطریقهٔ بطریقهٔ أخری، وعبر صنادیق الاقتراع مثلًا. فالقیادهٔ الدینیهٔ لهـا ارتبـاط مباشـر بمن لـه علاقـهٔ بالـدین، وبالتالی فإن الإنسان المؤمن معنیٌ بالدرجـهٔ الأولی بمن یقوده وبمن یمثل هـذا الـدین فقهاً وعدالهٔ وقدوهً.وهذا یعنی أن هذا المنحی سینتهی فی الخاتمهٔ الی تحویل المجتمع المسلم الی مجتمع إلهی بعد أن کانت قیادته إلهیهٔ، وهـذا الواقع نفسه یجب أن یشـمل طبیعـهٔ النخبـهٔ فی المجتمع أو ما یطلق علیه بالحرکات الإسـلامیهٔ السیاسـیهٔ، حیث لابـد لها من قیادهٔ مرجعیـهٔ میدانیـهٔ تأخـذ بزمـام أمورهـا نحو العـدل وسـلوک الخیر، لتتحاشـی -بقیادتهـا تلـک- احتمـال الوقوع فی الأخطـاء والمطبات السیاسـیهٔ المحرّمهٔ..ولکنّ الدیمقراطیهٔ -کما هو معروف- تأخذ مشـروعیتها من الرأی العام وانتخاب الأکثریهٔ، دون الأخذ بعین الاعتبار الوجهـهٔ الدینیـهٔ والأخلاقیـهٔ. ورغم ذلـک فإننا لم نجـد نظاماً دیمقراطیاً مطلقاً فی مکان ما من العالم فضـلًا عن تطبیقاتها الفاشـلهٔ.إننی اعتقـد أنّ ما فصّـلناه من طبیعـهٔ النظام السیاسـی الإسـلامی یکاد لا یخفی علی عاقل، ولکن الأسف الشدیـد یغمر وجودنا حینما تختلط الثقافات وینهار البعض أمام ما یبهرهم من تطور مـدنی وصـناعی حاصل فی بلاد الغرب، فتضـیع حقیقهٔ الدین السـمح والیسیر علیهم، فیرفعون رایـات الإبهـام والإشـکال علی شخصـیهٔ العلمـاء والمراجع، رغم أن هؤلاـء لم یـدّعوا فی یوم من الأیـام أن لهم مکانـهٔ الأئمهٔ المعصومین، وإنی لعلی حیرهٔ من أمر بعض الناس الـذین یرفضون حاکمیـهٔ وولایهٔ الفقیه، فهل یرغبون بولایهٔ المنافقین؟ وما هو البدیل الـذی یرونه مناسـباً؟ فإن کانوا یریـدون النظام، فالنظام لا یقوده سوی العلمـاء بحـلال الله وحرامـه، فهـذا الشـرط یتضـمن باقی شـروط الشخصـیهٔ القیادیـهٔ الطبیعیـهٔ.إن القـرآن الکریم یؤکـد قائلا: « مَا کَانَ لِبَشَـرٍ أَن یُؤْتِیَهُ اللَّهُ الْکِتَابَ وَالْحُکْمَ وَالنُّبُوَّهَٔ ثُمَّ یَقُولَ لِلنَّاسِ کُونُوا عِبَاداً لِی مِن دُونِ اللّهِ وَلَکِن کُونُوا رَبَّانِیِّینَ بِمَا کُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْکِتَابَ وَبِمَا کُنتُمْ تَـدْرُسُونَ». فالحکمـهٔ فی القیادهٔ هی دعوهٔ القائـد للناس أن یکونوا ربانیین، لا أن یدعوهم لعبادته، إذ العبادهٔ لله تعالی وحده.

الولایة السبیل إلی تحقیق العدالة

القرآن الکریم هو الکتاب الوحید الذی لا یحتاج إلی شهادة من خارجه، وإن ازدحمت الشهادات والشهود له من المؤمنین وغیرهم فهو الکتاب الذی یشهد لنفسه بنفسه علی أنه لیس من وضع البشر وإبداعهم مهما بلغت درجات سموهم فی العلم والفصاحة والبلاغة، ولا غرابة فی ذلک مادام لسان السماء ورسالتها لمن علی الأرض، فهو بما یتضمنه من آیات عظیمة، وبصائر نیرة، وحقائق مشهودة، یجعلنا نهتدی إلی حقیقة أنه کتاب الله عز وجل، وإن اختارت بعض النفوس الرفض والعناد والإصرار علی الکفر والإلحاد.

القرآن شفاء کل داء

وفی کتاب الله الشفاء لکل داء، والعلاج لکل مشکلة تعترض مسیرة الإنسانیة نحو أهدافها التکاملیة فی الحیاة، ویوم یأخذ الناس هذا الکتاب مأخذ الجد فی القول والعمل والسلوک فلینتظروا إشراقة شمس السعادة فی آفاق حیاتهم لیسمو بنورها ودفئها، ولیطمئنوا حینئذ للفلاح والنصر الإلهی وجنی الیانع من ثمار الجهاد والعمل فضلًا من الثواب والأجر الجمیل، والرضوان الإلهی الأکبر فی الآخرة.ومن حقائق القرآن أنه یکشف للإنسان عن القیم والمبادئ العامة التی لابد له من التحرک نحوها، والأهداف والغایات النبیلة السابقة التی ینبغی علیه بلوغها لیتنعم بوارف ظلالها، وهو -أی القرآن- یبیّن فی ذات الوقت السبل التی ینبغی اتباعها، والوسائل التی من المفترض استثمارها للوصول إلی تلک الأهداف والغایات والحقائق الکبری، فهو الدلیل إلی بلوغها؛ أی أنه - بالإضافة إلی مهمته الرسالیة الأساسیة فی الحیاة وهی بیان الهدف التکاملی- الصراط المستقیم الذی یقود نحو ذلک الهدف التکاملی.وللهدف التکاملی هذا جوانب عدیدة یؤطرها الإیمان، وتدور حول محور التقریب إلی الله جل وعلا؛ ومن هذه الجوانب تشکیل مجتمع العزّة والکرامة فی ظل سیادة العدل، وهیمنة روح المساواة وفق الموازین والمعاییر الواحدة.

حقیقة العدالة

والعدالة فی مجمل معناها وتعریفها تعنی وصول کل ذی حق إلی حقه دون زیادة أو نقصان، وتترتّب علی ذلک المساواة فی المجتمع؛ أی أن لا تعیش طائفة من الناس فی قمة من الثراء والعزة، بینما یبقی الآخرون فی قاع الذّل والفقر والحرمان. فلیس من العدل أن تتکدس المقدرات فی ید مجموعة صغیرة من الناس تمکّنهم من السیطرة علی حقوق الآخرین وأرزاقهم، بل وحتی علی کراماتهم وأعراضهم وحرماتهم؛ ولیس من الإنصاف أیضاً أن تتخذ هذه الشرذمة لنفسها مقاعد فی القصور الضخمة لتخطط بروح شیطانیة للملایین من البشر ثم تنبری مدّعیة ظلماً وعدواناً أن هؤلاء لیسوا ببشر، فتنظر إلیهم علی أنهم مجرد بهائم خلقت لتکون وسائل لخدمتهم بما یعزّز قوتهم وکیانهم، ویزیدهم جبروتاً وطغیاناً.والله سبحانه وتعالی إنما خلق الإنسان لیرحمه لا لیعذبه، کما یشیر إلی ذلک فی قوله: «وَمَا کُنَّا مُعَذِّبِینَ حَتَّی نَبْعَثَ رَسُولاً»، والرسول إنما هو رحمة للناس والعالمین، ولذلک فإن الإنسان خُلق للرحمة لا للعذاب، وفی ذلک یقول عز من قائل: «وَلا یَزَالُونَ مُخْتَلِفِینَ ، إِلاَّ مَن رَحِمَ رَبُّکَ وَلِذَلِکَ خَلَقَهُمْ». فالله جل وعلا هو الرحمان الرحیم، وآثار رحمته شاخصة فی کل أرجاء الکون.

لماذا البؤس و الحرمان؟

وإذا کان الأمر کذلک؛ فلماذا نجد الغالبیة العظمی من البشریة تعیش البؤس والحرمان، وتعانی الویلات وأنواع الاضطهاد والظلم؟ ولماذا أصبحت مصادر الثورة الهائلة والأموال الطائلة وأسباب القوة والهیمنة وقفاً علی أناس معدودین دون غیرهم، بینما یسرح القسم الأکبر من البشریة المعذبة فی غیاهب الجهل والفقر وظلمات التخلف والانحطاط، تسحقها عجلات ماکنة التقدم التکنلوجی التی یأخذ

بمقودها أولئک المترفون الذین وصلوا إلی درجة من الشبع والبطر بحیث لم یدعوا سبیلاً للتبذیر والإسراف إلا وسلکوه؟!وما أکثر الأمثلة علی صور الإسراف والبطر الذی یعیشه أولئک، ولنتصفح فی هذا المجال المجلات والصحف ففیها ما یسبب الدوار فی الرأس من شدة الاستغراب؛ فذاک یمتلک آلاف الملایین وعندما یدنو منه الموت یوصی بأمواله وممتلکاته تلک إلی قطة صغیرة کان قد ربّاها!!إنه الشذوذ بجوانبه العدیدة الذی أصیبت به تلک الأقلیة التی تقود زمام الحضارة والتکنولوجیا المتطوّرة، وعلی رأسه الشذوذ العقلی الناجم عن الشعور والفراغ القاتل الذی یدفع أولئک إلی أن یحترموا الهرة إلی درجة التقدیس، بینما لا یلتفتون أدنی التفاته إلی ورائهم لیروا تلک الحشود البشریة الجائعة التی تبحث عن فتات رغیف تدفع به الخطر الداهم فلا تجده، ثم تموت أفواجاً بعد أفواج وکأنها لیست بشراً له الحق فی الحیاة.

الخالق یرید لنا العزة و الکرامة

والله عز وعلا خلق الإنسان، وأوضح له مناهجه فی الحیاة عبر رسالات السماء، ولم یکن یرید لمسیرته أن تنتهی إلی ما هی علیه الآن من الصور القاتمة، ولم یکن یرید له أن یضیع فی متاهات الفراغ أو یتخبط فی مستنقع شذوذه، ثم یعانی الملأ ـ الأعظم الویلات والمآسی فی حیاته، بل إنه جل وعلا ـ عندما خلقه وهداه إلی الطریق المستقیم بالرسالات، أراد له الکرامة والعزة، وأن یحیا ویموت عزیزاً مکرماً شریطة أن یتحمل الأمانة التی عهد إلیه بتحملها.وبناءً علی ذلک؛ فإن کرامة الإنسان وقف علی الأمانة التی یتحملها کما یقول سبحانه: «إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ » (الاحزاب/۷۲). فالذی لا أمانة له لا شرف له ولا کرامة ولا عزة؛ أی لیس له ما یجعله یستحق العیش والاستمرار فی الحیاة.إن الله تبارک وتعالی یرید من الإنسان أن یکون أمیناً أوأن یبذل الغالی والنفیس من أجل إعطائها حقها وإن کلّفه ذلک حیاته أحیاناً، وأن یکون عند کلمته، ویفی بالعهد والوعد لکی یقوم مجتمع یتسم بالأمانة والشرف والکرامة، وتسوده روح العدل والعدالة. فلابد أن تسود وتحکم العدالة المجتمع الإنسانی؛ فالظلم الذی هو ضد العدالة ظلمات وتحطیم للإنسان وشلّ لحرکة الإنسانیة وتطلعاتها نحو آفاق الازدهار الحضاری الحقیقی، والظلم عائق کبیر دون سیر البشریة نحو طموحاتها فی بلوغ أهدافها التکاملیة النبیلة والمدنیة الفضلی.

وصیتان إلهیتان

وفی هذا المجال یقول تبارک وتعالی: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ» وهاتان وصیتان إلهیتان عظیمتان للبشریة لهذا الإنسان الذی جعل الله تعالی له عینین ولساناً وشفتین وهداه النجدین، ولیس هناک من هو أعلم منه سبحانه بهذا الإنسان وما یکتمه فی قلبه، وما یدور فی ذهنه من أفکار، وما یهیج فی نفسه من عواطف.والوصیتان – کما هو واضح من صریح الآیة الکریمة– هما:۱– أداء الأمانات إلی أهلها، أی إلی أصحابها، وهذا هو موضوع الأمانة.۲– ان الحکم بین الناس ینبغی أن یکون بالعدل، وهنا تأتی الإشارة إلی موضوع العدالة.کیف نحقق مجتمع الأمانة والعدالة؟والسؤال الذی یطرح نفسه فی هذا المجال هو: کیف السبیل إلی تجسید هاتین الوصیتین الإلهیتین فی حیاتنا العملیة، وبتعبیر آخر: کیف نحقق ونبنی مجتمع الأمانة والعدالة فی هذه الأرض؟الجواب: لیس بعیداً عنا، ویمکننا الوصول إلیه عبر الآیة التالیة: «يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ». فلکی نحقق مجتمع العدل والکرامة لابد أن نخلق فی أنفسنا فضیلة الطاعة لله جل وعلا، ولمن بعثه إلینا رسولاً، ومن ثم لمن استخلفه الرسول إماماً، أو لمن استخلفه الإمام ولیاً للأمر، وهذا هو السبیل وإلا فبدونه لن یتحقق العدل، ولن یتم الوفاء بعهد الأمانة، ولعل المشکلة الکبری التی تعانی منها البشریة بالأمس والیوم ومن الممکن أن تبقی متورطة فیها مستقبلاً، هی ضلالها عن هذا السبیل، فالجمیع یتشدقون بالعدالة ویتمنونها، ولو نظرنا إلی جمیع القوانین لوجدناها تحکم باسم العدالة، ولعرفنا أن

هـذه العدالـة ليست إلاـ ديباجـة برّاقـة لكـل الـدساتير الموجودة فی مختلف أنحاء العالم، وكلها تـدعی ارتكازها واسـتنادها إلی مبـدأ العدالـة. ولكن أين هی العدالـة حقـاً؟إن البشـرية مادامت قـد ضـلت الطريق اليها فلا يمكن أن تصـلها وتبلغها وإن كان طعمها مرّاً فی بعض الأحيان عندما تصطدم بالأهواء وما تشتهيه الأنفس.

سبيل العدالة

فلابـد – إذن– من البحث عن سبيل العـدالـة عند الله جـل جلاله، وعلی لسان أنبيائه ورسـله، والأئمة والأولياء؛ وهذا هو مفهوم الطاعة؛ طاعـة الله من خلاـل الامتثال إليه فی أوامره ونواهيه التی جاءت فی كتابه العزيزـ وطاعته عبر طاعـة رسوله، وطاعـة الـذين نصـبهم أئمة للناس وأولياء للأمور. وتبقی سلسـلة الطاعـة متصـلة ابتـداءً من قاعـدتها المتمثلـة فی طاعـة ولی الأمر، وانتهاءً بالقمـة وهی طاعة الله عز وجل.وهكـذا فإن طاعـة ولی الأمر تعنی طاعـة الإمام المعصوم، وهو فی عصـرنا الإمام الحجـة بن الحسن عجل الله فرجه، وطاعة الإمام الحجـة تعنی طاعـة الرسول التی تعنی بـدورها طاعـة الله سـبحانه، وهـذا بالإضافـة إلی الطاعـة المباشـرة للخـالق، وهی الامتثال لأوامره ونواهيه التی صرّح بها وبيّنها فی كتابه العزيز.

مقياس ولی الأمر

وقـد يسـأل سائل فی هـذا المجال: هل أن ولی الأمر هو كل من اسـتتبت لـه الأمور، وحالفه الحظ فی الوصول إلی السـلطة وقيادة زمام الأمـة؟!وللإجابة علی هذا التساؤل نقول: كلا بالطبع؛ فليس كل من يعتلی الكرسـی بأية وسـيلة كانت يغدو ولياً لأمر الأمة؛ بل لابـد أن يكون الولی الحقيقی للأمر ذلك الذی لا يزلّ ولا ينحرف عـن خط الرسالة ونهجها قيد أنملة، وأن تكون حياته انعكاساً للـه وللرسول. وأن لا تتناقض كلماته وكلمات الله التی لا يمتـد إليهـا التبديل والاختلاف، وحاشـی لله تبارك وتعالی من الإختلاف: «وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا».وعلی هـذا؛ فليس من المعقول أن يكون أمر الله متجسـداً فی طاعـة رجل يعاقر الخمرة، ويظلم، ويسـفك الدماء بغير حق، ويقتل النفوس الزكيـة، ذلك لأن رسالات السـماء هی دعوة لتحقيق القسط والعدل اللتين لا يمكن انتظارهما من حاكم جائر يعمل فی الأمـة بالظلم والبغی، ويتخلق بصـفات الفسق والفجور.إن ولی الأمر الذی ينبغی علی الأمة طاعته والانقياد لـه هو ذلك الشـخص الذی تتجسد فی أخلاقه وسلوكه وتعامله ونهجه وعموم سيرته قيم السماء ومفاهيم الرسالة ومناهجها البينة.

اهل البيت هم أولو الأمر

ونحن إذا تصـفحنا التأريخ وبحثنا عن أولياء الأمور الذين تتمثلفيهم تلك الصفات فكانوا عنواناً للقرآن الكريم، وبات كيانهم جزءاً من كيـان الرسول صـلی الله عليه وآله فی الأخلاـق والسـيرة والعلم؛ فحيوا حيـاته، وماتوا مماته، ولـم يحيـدوا عن طريقه ونهجه. لا نجـدهم سوی آل محمد عليهم السـلام، الذين هم أولياء الأمر الحقيقيون، وفيهم شهادة القرآن العظيم؛ فكل ثناء فيه لابد أن يكون من نصيبهم هم بالـذات؛ فهم الكـاظمون للغيـظ، والعـافون عن النـاس، وهم المقيمون للصـلاة، والمؤتون للزكـاة، وهم الراكعون الساجـدون، وهم المنفقون فی السـر والعلانيـة، وهـم الشـاكرون لربهم فی السـراء والضـراء... إلی عشـرات بل مئات الخصال أوصـی القرآن بالتحلی بها، وحث علی اتباعها قولاً وعملاً، فهم عليهم السلام أمثال القرآن فی حياتهم، بل إنهم القرآن الناطق بين الناس.

هل انتفت الحاجة إلی الإمامة؟

وبعد أن أدی الرسول صـلی الله عليه وآله، والأئمة المعصومون عليهم السـلام ما كلّفوا به، وحُمّلوه من أمانة الرسالة، والإمامة ثم مضوا إلی بارئهم الواحـد بعـد الآخر، تری هل تنتفی الحاجـة حينئـذ للإمامـة التی بها يسـتتبّ العدل، وتصان الكرامات، ويزول الظلم، أم أن

البشرية بلغت فى مستواها العقلى والفكرى مبلغ القمة التى هى عند الأئمة فلم تعد بحاجة إلى الإمامة، أم أن الحاجة إلى العدالة قد انتفت أساساً؟أقول: إن ما يشهد له التاريخ أن البشرية تبقى دائماً بحاجة إلى من يأخذ بزمامها فى الحياة، ويحكّم فيها العدالة، ولو كانت هذه الحاجة تنعدم بمرور الزمان لكان يكفى البشرية منذ خلقها الله تعالى وحتى يوم القيامة نبىّ واحد.

من هو الإمام فى عصرنا الراهن؟

وإذا ثبت لنا أن هذه الحاجة باقية، فمن الذى يتولى – إذن- الإمامة فى عصرنا الراهن؟هنا تتكفل بالإجابة نظرية المنقذ الذى شاء الله تعالى له الغيبة إلى أجل لا يعلمه إلا هو سبحانه، ليملأ به الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً؛ فقضية حاجة البشرية فى زمن ما للإمامة والقيادة، وانتفائها فى زمن آخر لا تنسجم مع نظرية العدل الإلهى، والحكمة الربانية فى استمرار اللطف والرحمة، بالإضافة إلى اصطدامها بالعقل والمنطق.

آثار وجود الإمام المنتظر

ولوجود إمامنا المنتظر آثار عظيمة ومتنوعة، ربما نجهل الكثير منها، ولعل أعظم هذه الآثار ولاية الفقهاء على الناس وطاعتهم لهم، والتى هى ليست طاعة ذاتية باعتبار أن الفقهاء ومراجع الأمة نواب عن الإمام الحجة المنتظر، فولاية الفقهاء على الناس هى شعاع من أشعة ولاية الأنبياء وقبس من نورهم عليهم السلام. فلنحاول أن نبحث فى هذا القبس من خلال بعض المفردات، ومن ضمنها وأهمها مفردة الاستقامة والثبات على الطريق. ومثل هذه الاستقامة لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال اتباع وتولى هؤلاء الفقهاء والمراجع الذين يمثلون خط الولاية للأئمة والأنبياء والرسل أجمعين، على أن تمثيلهم هذا لخط الولاية لاينفى ضلال أكثر الناس عنهم وعدم اتباعهم لهم لجهلهم بهم، والتمرد على مذهبهم الصحيح، ولا غرابة فى هذا الأمر إذا لاحظنا التصريح به فى محكم القرآن الكريم حيث يقول الله سبحانه: «وَمَآ أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ » ويقول: «وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِ كَارِهُونَ». فعدم إيمان الناس بالله جل جلاله لا يعنى انتفاء الوجود الإلهى وصحة الإلحاد، وعدم اتباعهم للحق لايعنى أن الحق مرفوض، بل إن الإنسان يميل فى أعماق ضميره، إلى الحق، ولكنه عندما يصطدم بالمصلحة الذاتية يكرهه ويفرّ منه.ونحن عندما نبحث عملياً عن السر فى بقاء ديننا، وتوجّهنا إلى الخط الصحيح، والصراط المستقيم، ومعرفة الله تعالى معرفة صحيحة خالية من أية شائبة، نجد أن خط العلماء هو الخط الذى أنعم الله تعالى به علينا؛ فهم الذين علّمونا معالم ديننا، ونقلوا إلينا هدى الأئمة وبصائرهم التى هى بصائر القرآن، وهدى الله سبحانه، ولذلك فإن الذين يهجرون خط العلماء، ويبتعدون عنه سواء كانوا أفراداً أم جماعة، فإنهم بتركهم وابتعادهم هذين سوف يضلون ضلالاً بعيداً.

اهمية اتباع المرجعية

وهكذا ينبغى على المؤمنين أن ينتبهوا إلى الأهمية الفائقة لاتباع المرجعية، والالتفاف حولها، بالإضافة إلى توقيرها وإجلالها، وأن يعملوا ويسيروا على خط هذه المرجعية، ويزيلوا من نفوسهم كل الدواعى والأسباب التى تؤدى إلى ابتعادهم وانحرافهم عن هذا الخط -لا سمح الله- لضلال يقعون به بسبب المضلين، أو لحسد، أو كبر، أو عجب يقع فى نفوسهم، فيدفعهم إلى الخروج عن طريق الاستقامة الذى أمر به نبينا صلى الله عليه وآله، ونهى – فى نفس الوقت- عن اتباع أهواء المضلين فى قوله تعالى: «فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ»

خط الولاية هو الخط القويم

ويبقى الطريق مستقيماً منذ أول نبى وحتى آخر مرجع إلى حين ظهور الإمام المهدى عجل الله فرجه، وبتوفر هذه العوامل الإيمانية يمكننا أن نحقق النجاح والنصر، فخط الولاية هو الخط الصحيح والقويم، وإذا ما سلكناه ولم ننحرف عنه قيد أنملة بلغنا هدفنا فى نشر العدالة، ونيل العزة والكرامة فى حياتنا الدنيا، وسرنا نحو الهدف التكاملى المتمثل فى التقرب الى الله عز وجل، وإن اخترنا غير هذا المسلك القويم يبقى مصيرنا –عندئذ– التيه والضلال، ولذلك يأمرنا سبحانه، ويحذرنا من هذا التيه والضلال فيقول: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً».والله سبحانه إنما يهدينا إلى الصراط المستقيم من خلال طاعته التى هى طاعة رسوله وأوليائه ومن ينوب عنهم، والرجوع إليهم فى كل صغيرة وكبيرة، والانقياد لهم بكل طواعية عبر اتباع أوامرهم وتوجيهاتهم كما يؤكد على ذلك سبحانه فى قوله: «يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الاَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً».

اوجه الشبه بين الإمام المهدى و النبى موسى

هناك أوجه شبه بين النبى موسى بن عمران عليه السلام، وبين الحجة بن الحسن عجل الله فرجه، ولذلك فإن الآيات التالية من سورة القصص فسّرت فى أحاديثنا وفى أحاديث المذاهب الإسلامية الأخرى بحياة الإمام المهدى، وهذه هى الآيات: «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِى الاَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِى نِسَآءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ، وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الاَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى الاَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ، وَأَوْحَيْنَآ إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِى وَلاَ تَحْزَنِى إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» (القصص(۴–۷)أوجه التشابه بين الإمام المهدى وموسى عليهما السلاموتبرز أوجه التشابه تلك فى النقاط التالية:۱– إنّ موسى بن عمران عليه السلام أرسله الله تقدّست أسماؤه، وبعثه بعدما علا فرعون فى الأرض وملأها فساداً واستكباراً. فقد ورد فى بعض التواريخ أن فرعون لم يكن يحكم مصر وحدها، بل كان يحكم جميع المناطق المتحضّرة آنذاك. وبناءً على ذلك فإن فرعون كان قد ملأ فى ذلك العصر الأرض فساداً وظلماً وجوراً، فبعث الله تعالى النبى موسى ليملأها قسطاً وعدلاً وحرية وكرامة، فيكون الخالق بذلك قد أدخر رجلاً من آل عمران ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً.

اثبات القدرة الإلهية

۲– إنّ موسى بن عمران عليه السلام كان معجزة الله عز وجل فى الأرض، فعندما يئس الجميع، وعرفوا أن لا ملجأ ومنجى من الله إلا إليه، وعندما عجزت كل الوسائل الطبيعية من أن تمنح الناس الخير والسعادة والرفاهية، فإن الله سبحانه ولكى يثبت لعباده أنه هو القاهر فوقهم، وأنه هو الحاكم والمهيمن، وله السلطان والملكوت، فقد بعث موسى بن عمران عليه السلام بعد أن عاش وتربى فى بيت فرعون لكى يثبت للبشرية أن الإنسان مهما طغى واستكبر فى الأرض، فإن الله تعالى يبقى أكبر منه، وأنه سيجعل هلاكه على يد الذى ربّاه بيده.وهكذا الحال بالنسبة إلى الإمام الحجة عليه السلام فإنه سيأتى بعد أن يعم اليأس الجميع، ويستبدّ بالبشرية شعور العجز عن توفير الخير والرفاهية لنفسها إلا بالتوجّه إلى بارئها تبارك وتعالى، ولذلك فعندما يظهر الإمام المهدى عليه السلام فإن البشرية بأسرها سوف تهرع لتبايعه.صحيح أنه عليه السلام سوف يخرج بالسيف، ويظهر به، ولكنه لا يشهره إلا ضد المعاندين، فالغالبية العظمى من الناس سيسلمون على يديه الكريمتين طواعية دون أى قهر وإجبار، لأن الله عز وجل سينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيصلّى خلف إمامنا الحجة بن الحسن كما جاء فى أحاديث المذاهب الإسلامية، وعندما يشاهد المسيحيون نبيّهم يصلّى خلف المهدى فإنهم سيهرعون إلى بيعة الإمام عليه السلام.إن الجاهلية المادية الطاغية فى الأرض سوف تصل بالبشرية إلى حالة انعدام الوزن، وعند

الوصول إلى هـذه النقطـة فإنهم يبدؤون بمراجعة أنفسـهم ويتساءلون عن جدوى المذاهب المادية المختلفة التى ابتلوا بها، ثم يأخذون بالتطلّع إلى هـدف آخر يعقـدون عليه الآمال بعـد أن ينفضوا عن أنفسـهم غبار الجاهليـة الجهلاء. وهنا يعلو صوت الإمام المهدى عليه السـلام فيسـمعه جميع أهل الأرض،وفى هـذا الصوت الربانى يجدون بغيتهم، فيسـرعون إلى قبول دعوته فتسود الأرض عدالته، ويسود الإسلام.

الانتظار الطويل

اشاره

۳- إن المؤمنين من بنى إسـرائيل كـانوا فى انتظـار نبيهم موسـى عليه السـلام سـنين طويلـة، وعنـدما اسـتبد بهم اليأس، وبلغ مـداه كفر بعضـهم بالبشـارة، وظنوا أن المنقـذ لن يأتيهم، ولكن الله سـبحانه وتعالى أرسـله لهم بعـد اشـتداد الأزمـة، وسوء الظروف، فكانت بعثة موسـى عليه السـلام نجاة وبركـة ورحمـة لأولئك القوم، ونحن أيضاً قـد طال انتظارنا كما طال انتظار سائر المظلومين والمحرومين فى العالم.

الغيبة الصغرى

۴- كانت لموسـى بن عمران عليه السـلام غيبـة صـغرى؛ فعنـدما ولد أمر الله تعالى أمّه أن تضـعه فى التابوت وتلقى به فى اليم، وهكذا الحال بالنسبة إلى الإمام الحجة عليه السلام فقد غاب هو الآخر عن الأنظار منذ اللحظة الأولى من ولادته إلا عن خواص مواليه.

واجبنا فى عصر الغيبة

ولكن السؤال المهم المطروح هنـا هو: مـاذا علينا أن نعمل ونحن نعيش عصـر الغيبـة؟إن علينا أن نعلم ونحن فى عصـر الغيبـة أن شـعلة الأمل الإلهى لابـد أن تبقى وتسـتمر فى قلوبنا، فالطغاة يحاولون أن يسـلبوا منّا الأمل والرجاء، وهم يعملون جاهـدين من أجل أن ينخر اليـأس قلوبنـا، ويكيلوا لنا الضـربات الموجعـة.. وهـذا هو هـدف الطغاة، ولكننا عنـدما نعلم ان الله سـبحانه قـد ادخر لنا أملاً ونجاة فإننا سنعرف أن نهايـة هـذه المسـيرة سـتكون سـعادة الإنسـان، وأنّ العاقبـة للمتقين، فهـذه المسـيرة بـالرغم من صـعوباتهـا، وما يكتنفها من المشـاق، ومـا تتطلّب من التضـحيات الشخصـية، فإنهـا سوف تنتهى بالنصـر المؤزر.إن الطغـاة فى الأـرض اسـتطاعوا أن يقهروا البشـر، ولكنهم لم يسـتطيعوا أن يحصـلوا على الأمن والاسـتقرار رغم ذلك، لأن الشـعوب ماضـية فى مقاومتها لهم، وهى غـدت تشـكل الآن خطراً حقيقيـاً يهـدد مصـالحهم، ويقضّ مضاجعهم، وما علينا إلا أن نسـتمر فى هـذه المقاومـة لكى نكون بـذلك قـد جسّـدنا المفهوم الحقيقى للانتظار الـذى يعنى تهيئـة الأرضـية المناسـبة لظهور إمامنا المفـدّى المهدى عجل الله فرجه.الإيمان بالغيب؛ ماذا يعنى؟!«الم ، ذَلِكَ الكِتَابُ لاَرَيْبَ فِيهِ هُـدىً لِلمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمـآ أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ، أُوْلئِكَ عَلَى هُـدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ» (البقرة/۱-۵)مـا هو الغيب؟ وما هو موقفنا من الغيب؟ وما هى علاقـة الغيب بالإمام المهـدى المنتظر عليه السـلام؟قبل اسـتعراض الإجابـة على الأسـئلة المتقدمة الذكر أودّ الإشارة إلى انّ القليل من الناس من يتزود بأحسن الزاد.وإننا جلوس حول مائدة العقيدة المباركة؛ فلا يكن حظّنا سوى رشـحات، وإنما ليحاول كلٌّ منّا أن يكون زاده الأكثر والأنفع. لـذلك فإننى حاولت وأحاول أن أتحدث عن قضـية هامة جداً، وهى قضـية الغيب، لأنها من وجهة نظر العقيدة الإسلامية قضية محوريـة من شأنها أن تحدد علاقاتنا بالحقائق، فما هو الغيب يا ترى؟يؤكد القرآن الحكيم بادئ بدء أن آياته الكريمة هدىً، ولكــن ليس لكل من هبّ ودبّ، بل هى هدىً للمتقين. وأبرز صفات هـؤلاء المتقين الذين سيقول عنهم

القرآن فی الموقع التـالی: «أَوْلَئِـکَ عَلَی هُـدًی مِنْ رَبِّهِمْ وَأَوْلَئِـکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أبرز الصـفات فیهم هی الإیمـان بالغیب، فهو الشـرط الأسـاس فی إیمـان الإنسـان المتقی الـذی حصـر الله سـبحانه وتعـالی فیه الفوز والفلاح فی الـدنیا والآخرة.ومرة أخری؛ أتساءل: ما هو الغیب؟ ولماذا أصـبح الإیمان بالغیب محوراً أساسیاً للإیمان؟إن الله جلّ جلاله هو الغیب، إن الرسالات السماویة هی الغیب، إن الآخرة هی الغیب، إن الإمامـة فی أهـل البیت وعصـمتهم صـلوات الله وسـلامه علیهم أجمعین هی الغیب. وإن أبرز وأهم غیب فی حیاتنـا، هو الإیمان بوجود وظهور وانتصار الإمام الحجـة المنتظر عجل الله فرجه الشـریف، ولکن لماذا؟..الجواب: إن الغیب هو خلق الشـهود، وهو أصل الشـهود، وهو روح الشـهود، وهو محتوی الشـهود، وهو فی الحقیقة النور الأسـطع للشهود. فاللّب أهم من القشرة، ومن أراد شراء بضاعة ما فهو یهتم بتحدید حقیقة هذه البضاعة دون الاکتفاء أو الاهتمام بما یعکسه مظهرها. وعلی الرغم من أنّ کثیراً من الناس یقول بـأن ماکنـة السیارة هی التی تحرّک السـیارة؛ لکننی أقول - کمـا هی الحقیقـة - إن وقود السـیارة، هو غیب السـیارة وهو الوجه الآخر الأصـیل لذاتها. وإنّ ضوء الشـمس لیس هو الشمس، وإنما عین الشمس الغائبة عنّا هو التفاعلات الذریة الحادثة باستمرار فی الشمس، ولولا هـذه التفاعلات لما أضاءت الشـمس ولو للحظـة واحدة وإن غیب الإنسان لیس حرکته أو سـکنته، وإنما الغیب فیه کامن فی قوة قلبه وسـلامة أعصابه وشـرایینه ومخّه. وإذا أمعنّا النظر فی حقیقة الإنسان لوجدنا أن مخّه لیس هو الأساس فیه، وإنما الروح هی المحور لـدیه، وإذا أمعنا النظر ثانیةً لعرفنا أن العقل هو موجّه هذه الروح. ثم إن هذا العقل والحیاة والقدرة الکامنة فی الروح یقف وراءها أمراً أهم بکثیر منها مجتمعـةً، وهی إرادة الله سـبحانه وتعالی، ولولا مشـیئته وإفاضـته وقـدرته ونوره لتلاشت الروح الإنسانیة؛ أو لنقل: لو لم تکن الإرادة الإلهیـة فی إیجاد الروح والقـدرة لـدی الإنسان، لأصـبح هـذا الأخیر کالجماد أو هو أعجز من الجماد، إن صحّ التعبیر عن وجود جمـادٍ فی هـذا الکون العجیب!...إذن؛ فکـلّ حلقـة من حلقـات الغیب تأخـذ أهمیّتها وموقعها من مستوی التعمق فی النظر إلیها. فکلما کانت هـذه الحلقـة أبعد من حیث الترتیب والعمق، کلما جسّدت هی الأساس والمصدر؛ أما النور والمظهر فلا شـیء مهم یذکر فیهمـا، هـذا هو الغیب...والإیمـان بـالغیب عـادةً مـا یکون فارقاً بین الإنسان والحیوان؛ الحیوان العاجز عن النفوذ إلی اللّب والجوهر إلاّ بـالحواس المادیـة. والبشـر بـدورهم علی مراتب متفاوتـة تجـاه هـذه المسألـة؛ فالرجـل العادی منهم ینظر الی طبیعـة المجتمع المتخلفة والفقیرة والمتوترة والمضطربة، ولکنه لا یعرف السبب من وراء ذلک، وهو قد یقول: لعلّ الله خلقهم کذلک!.. ولکن الخبیر منهم ینظر بعین متفحصـة وخلفیـة فکریـة متینـة، فهو یؤکـد - عالمـاً - بأن هناک أسـباب للاختلاف والتخلف والفقر والتوتر والاضـطراب وباقی الظواهر الأـخری. فالخبیر یتعمق ویصل إلی العمق، فی حین أن الإنسان البسـیط أو المعانـد أو الجاهل یقتصـر علی التعامل مع المظاهر فقـط. والفرق بین فریق المؤمنین وفریق الکـافرین هو فی بالـذات. فالکـافرون لاـ یعلمون إلاّ ظاهراً من الحیاة الـدنیا، فهم لا یعرفون إلاّ أنهم یتوالدون ویتناسـلون ویتکاثرون، وأنه لا یمیتهم إلاّ الدهر. وأما عن الآخرة فهم قوم عمون، لا ینظرون إلیها، ولا یعرفون عنها شیئاً. أما فریق المؤمنین فهو من لا یضطر الی جعل الغیب شهوداً حتی یؤمن به، بل هو یرتفع إلی مستوی الإیمان به.وماذا یعنی ذلک؟!یعنی أن الإنسـان المؤمن لم یعترف بالموت أو بما وراء الغیب من رؤیته القبر، أو ماوراء القبر من عـذاب أو ثواب، وهو لم یؤمن بالغیب من رؤیـة رآهـا فی المنام، وهو لم یؤمن بأن المیت الفلانی یتعـذب فی الوقت بعـذاب القبر لأنه قـد رأی ذلک فی منامه، وهو لا یقول إنّ فلاناً فی الجنّة لأنه قـد رأی رؤیـة فی ذلک، فرؤیة المنام لا ینبغی أن تکون العامل الحاسم فی الإیمان بالغیب، کیف کان ومتی کان؛ بل إن المؤمن ومن خلال محاکمة عقلیة، ومحاسبة علمیة، ومن خلال ارتفاع مستوی روحه الی الاستشراف علی الغیب یؤمن بما وراء المادة والغیب. فهو یعلو ویعلو، ویسمو ویسمو إلی أن یصل الی أفق الغیب فیؤمن به کحقیقة ثابتة لا تقبل الشک.من هنا یقول البعض: أُؤمن بالإمام الحجة، ویسأل: من رأی الحجـة؟ویجیبه رفیقه: لقد رآه بعضـهم وقصـته کذا وکذا. فهو یؤمن بالإمام المنتظر لأن أحدهم قـد رآه فی الیقظة أو فی المنام، ولو کان لم یُرَ علیه السـلام فی الیقظة أو فی المنام لأصـبح لا وجود له!!إن الاعتماد علی النقل الموثّق أمر صـحیح، ولکنه یعبّر عن إیمـانٍ جاهـل وناقص؛ جاهل من حیث أنه لم یصـدر عن ذات عالمـة بـذاتها، وناقص بالمقارنـة مع ما هو کامل.إن الإیمان الکامل والواعی والقوی هو الإیمان المتنامی من خلال دراسـة القرآن وجوهره وروحه، ومن خلال دراسـة الأحادیث

النبویـة الشـریفة التی خرجت عن مصـدر الحق والصـدق الذی هو رسول الله صـلی الله علیه وآله، من خلال ذلک یؤمن الإنسان إیماناً أساسیاً بحقائق الغیب، لا من خلال رؤیة أحد الناس.

الایمان بالحقائق الغیبیة

إن الإیمان بالحقائق الغیبیة ینبغی أن یکون تسلیماً للأوامر الدینیة؛ بمعنی أن هذین الأمرین ینبغی أن یکون الإیمان بهما من البدیهیات فی عقیدة الإنسان المسلم، وذلک قبل البحث عن الاستدلال أو الکشف عن أسبابهما ونتائجهما المادیة.فالله سبحانه وتعالی حینما حرّم أکل لحم الخنزیر، إنما حرّمه لیکون موضع ابتلاء وتمییز للملتزم من غیر الملتزم، قبل أن یحرمه لمضارّه الصحیة. والإنسان المسلم علیه التقید بهذا القید، إذ من دونه تکون نار جهنم بانتظاره.ثم إن من دون الاعتماد علی الله والنصوص التی أوردها فی قرآنه الحکیم وعلی لسـان رسوله الکریم صـلی الله علیه وآله یکون دین الإنسان المسـلم أمراً معلّقاً علی معرفـة الأسـباب قبل التأدیـة، وبالتالی فإنّ نوعاً من الیأس من روح الله تعالی یسـیطر علیه، الواقع الذی وصـفه الله بالکفر، حیث قال سـبحانه: «وَلا تَیْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا یَیْأَسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْکَافِرُونَ» (یوسف/۸۷)إن الصحیح فی الأمر هو التصور المجرد بأنّ وراء الأوامر الإلهیة جنات وثواب ورضوان، وأن وراء المناهی نیران وعقاب وسخط إلهی کبیر، وأن الإیمان بالغیب هو العامل الأهم فی تلقی واستیعاب هذه الحقیقة.إن الشریعة الإسلامیة – کمـا هو واضـح– تشـجعنا علی العلم، وتحرّضـنا علی السـعی نحو معرفـة أسـباب الأحکـام والأوامر والمناهی. ولکن لا یعنی ذلک أنّ إیماننا بالشـریعة الإسـلامیة یکون متوقفاً علی معرفـة أسـبابها، فهـذا الإیمان لا یعدّ أبداً إیماناً بالغیب.الإمام الصادق علیه السـلام یقول: "نحن – الأئمة – صُبّر، وشیعتنا أصبر منّا، "قلت (الراوی): جعلت فداک کیف صار شیعتکم أصبر منکم؟ قال": لأنا نصبر علی ما نعلم، وشـیعتنا یصبرون علی مالاـ یعلمون. ["۵] .إذن؛ فالقضـیة تکمن فی ضـرورة الارتفـاع الی مسـتوی الإیمـان بـالغیب ومـا یتطلبه، ولیس الاتجاه نحو تجییر الحقائق الإیمانیة لصالح المذاقات النفسیة والمادیة، وإنما یتم ذلک عبر تعوید الذات علی عدم الاکتفاء بما تشاهده العینان وتحسّه الحواس. بل لابد من الإیمان بما یشـهد علیه القلب والعقل، وما یطمئن إلیه الضمیر، وینصّ علیه الکتاب والرسول.وبالغ الأسف أقول: إن بعض الناس من المسلمین أصبح لا یؤمن بحکم شرعی حتی یعرف سببه أو یفسر له العلماء ذلک، وهذا یعتبر تجاوزاً صارخـاً علی حقیقـة القرآن والأحکـام الشـرعیة القائلـة بضـرورة الإیمان بالغیب والتسـلیم بإخلاص الی أوامر الله ونواهیه، لاسـیما وأنّ الآیات القرآنیـة الکریمة التی تلوتها علی مسامعکم فی مقدمة الحدیث تشـیر بکل وضوح إلی أن الإیمان بالغیب أمر متقدم علی إقامة الصـلاة – وهی عمود الـدین – وعلی الإنفاق فی سبیل الله تعالی ذکره.وکما تقدم؛ فإن الله ووحدانیته هما من مصادیق الغیب رغم أننا نعجز عن رؤیته بأعیننا، ولقد روی عن أبی عبد الله الصادق علیه السـلام قال: جاء حبر إلی أمیر المؤمنین صـلوات الله علیه فقال: یا أمیر المؤمنین هل رأیت ربک حین عبـدته؟ قال: فقال: ویلک ما کنت اعبـد رباً لم أره؛ قال: کیف رأیته؟ قال: ویلک لا تدرکه العیون فی مشاهدة الابصار ولکن رأته القلوب بحقائق الایمان. [۶] فالله تعالی قد خلق أرضاً واحدة، وجعل فیها ماءً واحداً، وشمساً واحدة، ولکنّه جعل أنواع متعـددة من الفاکهـة.. ونحن من خلال کل هذا نصل الی معرفة أسـماء الله، وآیات الله، وقدرة الله و تدبیره.وهکذا من کان یشـک فی وجود أو ظهور أو انتصار الإمام المهـدی عجل الله فرجه الشـریف فالمشـکلة فیه هو لا غیر. فالأدلـة کثیرة للغایـة، ولکنه هو بذاته أصبح – لضعف إیمانه – لا یؤمن بالشیء دون أن تراه عیناه.ویروی أن أحد الزنادقة جاء الی مقبرة الکفار فتناول عظماً من عظام الموتی، وقال لمن کان حاضـراً من المسـلمین: أری أنکم تقولون إن الکفار یتعرضون لنار القبر، وإن هـذا العظم بارد کقطعـة ثلج فی یدی.. فجیء به إلی أمیر المؤمنین علیه السـلام الذی أجابه بعد أن تناول حجرین من الأرض وضـرب بعضهما ببعض فأنقدحت شرارة من نـار: أین کـانت هـذه النـار؟نعم؛ إن جهنم محیطـة بالکـافرین، انسـیاقاً واتّساقـاً مع أعمالهم ومعتقـداتهم الشـیطانیة.وفیما یروی من الأحادیث الشـریفة، هو القول بأن فائدة الإمام الحجة علیه السلام کفائدة الشمس التی تسترها السحب.ولتوضیح ذلک، أقول بأن الإمام عجل الله فرجه الشـریف – کما کان آباؤه الطاهرون– هو عـدل القرآن، وهما ثقلان ورافدان إلهیان؛ ولکن لمن کان له قلب وأراد أن

يتـذكر ويتبصّـر ويسـتفيد. فهؤلاء العلماء الربانيون والمجاهـدون العاملون إنما يتزودون بزاد هذا الإمام العظيم، وإن سـلوكهم الشـريف وعدم انصياعهم وراء الهوى والوساوس الشيطانية، إنما هو انعكاس لعمق اتحادهم مع توجيهات الحجة عجل الله فرجه الشريف لهم.

سنّة سماوية

إن من سـنن الله تعـالى فى خلقه، هو أن من يرتـدّ عن دينه الحنيف – نظريـاً أو عملياً – يصـاب بالذلـة والضـياع فى دنيـاه قبل آخرته. وفضـلًا عن أن هـذه الحقيقـة مثبتـة فى الآيات والأحاديـث، فهـى مجربـة وملموسـة، بالـذات لمن اهتـدى الى الإسـلام، حيث يجد فى داخله راحـة واطمئنانـاً عجيبـاً.وفى القصـة القرآنيـة التاليـة يشـير الله تعـالى إلى هـذه الحقيقـة، وإلى ضـرورة الإيمـان بالغيب والتسـليم للتكاليف الشـرعية، وإلى ضـرورة نبـذ ثقافـة التبرير الجاهليـة التى تعتبر مصداقاً على تراجع الأمة ودليلًا على تخاذلها وذلها. ففى سورة البقرة يوضح الله تعالى الذل والتراجع الذى أصاب بنى إسـرائيل، حينما أصابهم مرض الرغبة فى التهرب من التكاليف الشـرعية، وعدم إيلائهم رسول الله موسـى بن عمران عليه السـلام حقّ منزلته وشـرفه.«وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِين ، قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ، قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ، قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِنْ شَآءَ اللّهُ لَمُهْتَدُونَ ، قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَشِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ» (البقرة/۶۷–۷۱)إنهـم اتّهمـوا نـبيهم بالسـخرية والاسـتهزاء رغم أنه لم يكن كـذلك، بـل كان رجلًا قائـداً عملاقاً شديـد المراس. وأرادوا التملّص من الواجب المكتوب عبر التساؤل المتكرّر، حيث كانوا يأملون نفاذ صبر النبى موسـى عليه السلام، أو عسى الله أن يبدل رأيه... ثم إنهم ولفرط الضعف فى إيمانهم كانوا يصفون الله بأنه رب موسى، وكـأنه ليس ربهم أيضـاً؛ أى كـأن الأـمر لاـ يعنيهم، وأنهم حينمـا ينفـذون المهمـة يمنون على نبيهم وعلى ربه..!«فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ». أى أنهم نفـذوا الأـمر دون تسـليم أو رغبـة أو تعبّـد أو رجـاء للثواب.. وهم كلّمـا يتبـاطؤون فى التنفيـذ، كلمـا زادت عليهـم المشاكل. ففى وقت كان المطلوب منهم ذبح مجرد بقرة – تلاحظ الصيغة النكرة هنا – سوّفوا الأمر حتى اضطروا فى نهاية المطاف الى البحث عن بقـرة فريـدة من نوعهـا، وبعـد عناء شديـد وجـدوها فى حوزة عجوز فيهم، وهـذه العجوز حينما علمت حاجتهم الى بقرتها أخـذت بالمساومـة والتمنّع ورفع السـعر أضـعافاً مضاعفاً، حتى اضـطرتهم الى القبول بشـرائها مقابل أن يملؤوا جلـدها – بعد سـلخها – ذهباً!!هذا واقع بنى إسرائيل، أما صحابة الرسول صلى الله عليه وآله، والخلّص من الشيعة، فقد كانت سمتهم الأولى أنهم كانوا يتمتعون بروح الانضـباط والتسـليم، إيمانـاً منهم بالله الـذى لا يريـد سوى فائـدتهم، وحبّاً فى التعبّـد الخالص الذى هو الآخر لا يعود بغير الفائدة عليهم.أمّـا نحن – فى الوقت الراهن – فلو كنّا أطعنا قياداتنا الإسـلامية منـذ النـداء الأول، ودخلنا فى العمل بروح جماعيـة، لما وصل بنا الحـال على مـا هو عليه الآـن، ولكانت التضـحيات أقل بكثير، ولكانت النتائـج الإيجابيـة أكثر بكثير. إلا أن ثقافـة التبرير والتسويف قد تأصـلت بنا وتجـذرت فينا الى حدٍ لا يمكن الخلاص منها من دون العودة الى مفاهيم القرآن الكريم، وتفسيرهللسـنن الكونية الخاصـة بهـذا الإطار.إننا بأمس الحاجـة إلى الاقتـداء بأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السـلام، الـذى كان قوله وفعله وسـكنه رهن إشارة صغيرة من النبى صـلى الله عليه وآله. فكنت تراه أول المضحين، وأول المقاتلين، وأول المؤمنين، وأول المنفذين.. وهو بذلك يضرب للمسـلمين المثـل الأـعلى فى الانصـهار فى المفـاهيم القرآنيـة، وفى التربيـة الرساليـة؛ روحـاً ومظهراً، فمـا أحوجنا نحن اليوم الى تطبيق الإسلام، وهو الموجود فى كتاب الله المقدّس، تطبيقاً فردياً واجتماعياً ومصيرياً..

الاتصال بالغيب حاجة ماسة

مـن المعلوم أن العقبـات والمشاكـل الـتى تقـف فى طريقنـا كـثيرة، وهـى مختلفـة وسائـدة فى جميـع المجالاـت، وخصوصـاً النفسـية

والاجتماعیة والسیاسیة، وجمیع هذه العقبات من شأنها أن تعترض طریق تطبیق الإسلام، وبتعبیر آخر؛ فإننا نرید أن نجتاز فی حیاتنا کل هذه العقبات، وأن نحقق نصراً مؤزراً، وأن نوحّد الأمة الإسلامیة، وننقذها وننقذ شعوبنا المحرومة البائسة من براثن الظلم، والاستغلال، والتبعیة، والتخلف.تری ماذا نملک من الزاد لمواجهة هذه العقبات؟ إن أکثر الناس ینهارون نفسیاً أمام ضخامة المشاکل قبل أن یواجهوها، لأنها کثیرة ومتنوعة.

زادنا أمام العقبات

اشاره

إننا نمتلک فی هذا المجال زاداً واحداً هو الاتصال بالغیب، وبمعنی آخر؛ فإن إیماننا بالإمام المنتظر علیه السلام هو الذی یسعفنا ویغیثنا فی هذه الحالات، فهو علیه السلام یمثل لنا نقطة ضوء ساطعة تلوح لنا من بعید، وتفهمنا بأن الیأس حرام، وأن نهایة العالم ستکون نهایة سعیدة، وأن العدالة سوف تسود الکرة الأرضیة.وحتی لو لم نمتلک هذا العامل النفسی، والأثر الروحی بالنسبة إلی إیماننا بالإمام الحجة عجل الله فرجه، فهناک فوق کل ذلک الاتصال المباشر بین قلب الإنسان المسلم وإشعاع هذا الإمام أو تجلّیه فی هذا القلب، ففی أصعب الحالات وفی مواجهة أشد الظروف حراجة علی کل واحد منا أن یتوجه بقلبه إلی الإمام المهدی علیه السلام وأن یطلب إلی الله تبارک وتعالی أن ینصره بوجاهة هذا الإمام. وحینئذ سنحسّ بمدی قوتنا، ومدی الثقة بأنفسنا التی ستغمرنا عند مواجهة المشاکل والعقبات.إننا بصفتنا مؤمنین وحاملی رسالة، فإن علینا أن لا نقطع علاقتنا به، بل علینا أن نبقی علی اتصال مستمر به، وأن ندعوا له ونطلب الفرج من الله له.

القیادة و القرار الصعب

وهذه العلاقة القلبیة ستمنحنا –ولا ریب– القدرة علی مواجهة المشاکل، وأنا أوجه هنا حدیثی إلی المؤمنین العاملین فی سبیل الله فی کل مکان لأقول لهم: إنکم تعیشون الآن مع بعضکم البعض، وتقتبسون النشاط والحیویة من بعضکم البعض، وإذا ما ساءت بکم الأوضاع فإنکم ستستمدون الروحیة والمعنویة ممن هو فوقکم، ولکنکم عندما تصبحون –إن شاء الله– قادة هذه الأمة فحینئذ ستشعرون بالوحشة، وفی هذه الحالة یجب أن تتخذوا القرار المناسب الذی ترون أنفسکم مسؤولین عنه أمام الله عز وجل وأمام الناس، وبذلک ستشعرون بالرهبة والوحشة، فلا تعرفون کیف تعملون، وفی نفس الوقت فإنکم لا تستطیعون أن تتهربون من اتخاذ القرار، ولا یمکنکم أن تستعجلوا فی اتخاذه.وقد مرّت هذه الظروف نفسها بالمیرزا محمد حسن الشیرازی المرجع الأعلی لأتباع مذهب آل البیت علیهم السلام آنذاک، فقد کان هذا الرجل یشعر بضخامة المسؤولیة عندما علم أن البریطانیین أمسکوا بزمام الأمور فی إیران، وأن الملک قد تحالف معهم، وأن الناس لاذوا بالصمت، وبعض العلماء قد تعاونوا مع السلطة، وبذلک فقد کان یشعر بالتهیب والوحشة، فهل یتخذ القرار أم لا یتخذه، وعندما اشتد الضغط الجماهیری علی المیرزا بأن یقوم بعمل ما، انتظر حتی کان یوم الجمعة، وفی عشیة هذا الیوم ذهب إلی (السرداب) المنسوب إلی الإمام الحجة علیه السلام وأمر الناس أن ینفضّوا من حوله، وبقی وحده لفترة فی السرداب ثم أصدر بعد ذلک فتواه المعروفة والقاضیة بأن استعمال التبغ الیوم یعتبر بمثابة إعلان الحرب ضد الإمام المهدی علیه السلام.وعندما أصدر رضوان الله علیه هذه الفتوی کانت بمثابة الصاعقة التی نزلت علی هشیم البریطانیین، فاحترق هذا الهشیم، وکانت أول هزیمة لحقت بالاستعمار البریطانی فی تأریخه، وهنا أرید أن أسلط الأضواء علی لقطة من هذه الحادثة وهی أن أصدقاء المیرزا الشیرازی والمقربین إلیه کانوا قد سألوه بالقول له: لماذا صبرت هذه الفترة الطویلة؟ فأجاب قائلًا: کنت انتظر الأمر من الإمام الحجة.تری هل کانت لهذا المرجع علاقة مباشرة مع الإمام أو مع بعض أصحابه؟ أنا لا أعلم بالضبط، ولکن الذی أعلمه أن الإنسان عندما یکون

مخلصاً للخالق عز وجل ويجد صعوبات حادهٔ فی حياته، فإن علاقته بالإمام المنتظر عجل الله فرجه ستنفعه حينئذ وسيسدّد من قبل ولی الله.

ضرورهٔ الاهتمام بالمسائل الغيبيهٔ

وهنا أوجّه خطابی إلی طلاب العلوم الدينيهٔ فأقول لهم: إنكم بصفتكم طلبهٔ علوم دينيهٔ، فإن من الشرف العظيم لكم أن تسيروا علی خطی أهل البيت عليهم السلام وان تصبحوا نوّاباً للإمام الحجهٔ الذی قال ": وأمّا الحوادث الواقعهٔ فارجعوا فيها إلی رواهٔ حديثنا فإنهم حجتی عليكم، وأنا حجهٔ الله عليكم. ["۷] .إن هناک مسائل ظاهرهٔ، وهناک أيضاً مسائل عميقهٔ، فالمسائل الظاهرهٔ فيما يتعلق بطالب العلم أن يذهب إلی الحوزهٔ أو المدرسهٔ، وينشغل فی الدراسهٔ والمباحثهٔ، ويصلح ما بينه وما بين أخوته، ويصلح أخلاقه، ولكن هناک بالإضافهٔ إلی ذلک مسائل غيبيهٔ ينبغی أن يرقی إليها ويصل قلبه بها، فيتصل بالنور الأعظم من خلال تفجير العلم فی قلبه، وجعله طاهراً نقياً كما يقول الدعاء الشريف: المروی عن الرسول الاعظم صلی الله عليه وآله ": اللهم ارزقنی قلباً تقياً نقياً من الشرک بريئاً لا كافراً ولا شقياً. ["۸] فعندما يكون قلبک نقياً، صافياً، طاهراً، زكياً، بعيداً عن الغی، والغش، والحقد، والحسد.. فحينئذ سيشعّ نور الله تبارک وتعالی فی قلبک، وستكون علاقتک بأولياء الله المغيبين منهم والظاهرين علاقهٔ التفاعل.

لانقاذ المستضعفين

وبالإضافهٔ إلی ذلک فإننا نحمل شعار الدفاع عن المستضعفين والمظلومين، وهو شعار كبير، ومن يحمل شعار كهذا فلابد ان يسود الاعتقاد نفسه بأنه قادر علی تطبيق هذا الشعار فی واقعه.وفيما يتعلق بعقيدتنا بالإمام الحجهٔ عليه السلام فإننا يجب أن نطرح علی أنفسنا السؤال التالی وهو: كيف ننقذ المستضعفين فی الأرض؟وبالطبع فإن الشيطان لابد أن يدخل فی هذا المجال قلوب البعض منّا، فيقول: ومن أنا لكی أستطيع إنقاذ المستضعفين؟إن الحركات التاريخيهٔ الكبری فی العالم بدأت من خلال أشخاص مستضعفين أمثالنا، وهؤلاء الأشخاص هم الذين غيرّوا التاريخ فی الاتجاه الصحيح، وقد كانوا بشراً مثلنا، ولكن كان يحدوهم الأمل الراسخ والوطيد بأنهم يستطيعون إنقاذ المستضعفين من شعوبهم.ونحن أيضاً علينا – باعتبارنا مسلمين متبعين لخط النبی وأهل البيت عليهم السلام– أن نعمّق اتصالنا بالله سبحانه وتعالی أولاً، ثم بوليّه الأعظم الإمام الحجهٔ عجل الله فرجه؛ ومن دون هذه العلاقهٔ التی تبعث فينا روح الأمل والتفاؤل، وتثير فينا العزم الراسخ والإرادهٔ القويهٔ، فإننا سوف نصبح مشلولين تماماً، وسوف نعجز تمام العجز عن القيام بأی عملٍ فی سبيل ديننا، وأمتنا.فلنقوِّ هذا الاتصال ولنوطّده من خلال قراءهٔ الأدعيهٔ، وأداء العبادات المستحبهٔ المتعلّقهٔ بالإمام المنتظر شريطهٔ أن تكون تلک القراءهٔ، وهذا الأداء نابعين من صميم قلوبنا، وخالصين لوجه الله الكريم.

پاورقی

[۱] بحار الانوار، ج۱۷، ص۱۳۱، ح۵.

[۲] بحار الانوار، ج۵۱، ص۸۴.

[۳] دعاء ابی حمزهٔ الثمالی.

[۴] بحار الانوار، ج۱، ص۹۴، ح۲۶.

[۵] الكافی، ج۲، ص۹۳.

[۶] الكافی، ج۱، ص۹۸.

[۷] بحار الانوار، ج۵۳، ص ۱۸۱.

[۸] بحار الانوار، ج۹۴، ص۸۹.

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ ُبنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا… َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا… (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة…

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و…

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و… الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و…

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و… للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و…

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"
تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)
رقم التسجيل: ۲۳۷۳
الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶
الموقع: www.ghaemiyeh.com
البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com
المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com
الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)
الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)
مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)
التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹
امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.



مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩